

## الماء والتوطين بالقرى الجبلية بالجنوب التونسي ملاحظات وإضاءات حول قرية السند

مسطاري بوكثير\*

(كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس)

BIBLID [1133-8571] 19 (2012) 31-69

**Resumen:** “Agua y poblamiento en las aldeas de montaña del sur de Túnez. Observaciones y aclaraciones en torno a la aldea de Sened”. Resulta de todo punto lógico ligar la problemática del poblamiento de zonas de montaña con la cuestión del agua, puesto que la orografía difícil y la escasez de agua de las aldeas del sur de Túnez hacen de esas zonas espacios más aptos para el establecimiento de grupos humanos que las llanuras, habida cuenta de los promedios de pluviosidad, que son más elevados, y las amplias posibilidades de practicar actividades agrícolas. En este marco, la aldea de Sened representa un modelo de establecimiento en zona montañosa ligado a la disponibilidad del agua. Una investigación precisa de esos asentamientos requiere el uso de diversos mecanismos de investigación histórica, incluyendo la toponimia, la exploración sobre el terreno, y el estudio de la cerámica, lo cual nos permite compensar la casi absoluta ausencia de documentación. El presente estudio supone un verdadero examen de nuestros conocimientos generales sobre la población en medios de montaña, así como de la importancia de los medios auxiliares en la investigación histórica cuando se trata de problemáticas tan concretas como ésta.

**Palabras clave:** Historia antigua, arqueología, poblamiento de Túnez.

**Abstract:** “Water and population in the mountain villages of southern Tunisia. Comments and clarifications around the village of Sened”. It stands to reason to link the problem of population in the mountain areas to the issue of water, because these areas, having higher rainfall averages, which allows for the practice of agriculture, are more suitable for human settlement than the plains, because

---

\* boukthirmustari@yahoo.fr.

of the difficult orography and the scarcity of water in the south of Tunisia. In this framework, the village of Sened represents a model of settlement in a mountain area linked to water availability. A careful research on this kind of settlements requires the use of some tools for historical research, including toponymy, field work and the study of ceramics, allowing us to compensate for the almost complete lack of documentation. This study is a true test of our general knowledge of settlement in mountain areas, as well as a proof of the importance of auxiliary tools for conducting historical research of specific issues like this one.

**Key words:** Ancient History, Archeology, population of Tunisia.

**ملخص البحث:** من البديهي أن ترتبط إشكالية التوطن الجبلي بمسألة الماء، حيث أن تركز القرى الجبلية في مجالات صعبة تضاريسيا وشحيحة المياه في الجنوب التونسي جعل من هذه المناطق الفضاءات الأكثر ملائمة للاستقرار البشري من السهول. وذلك إعتبارا لمعدل التساقطات الأكثر أهمية وللإمكانيات المتوفرة لممارسة النشاط الفلاحي. وإذ تمثل قرية **السند** في هذا الإطار نموذج للمستقرات الجبلية التي إرتبطت في وجودها بالإمكانيات المتاحة لتوفير الماء، فإن تدقيق البحث في مثل هذه المستقرات يستوجب الاعتماد على مختلف آليات البحث التاريخي بما في ذلك الطوبونيميا والاستكشاف المجالي ودراسة الحزف، وهو ما يسمح بتدارك الانعدام شبه الكلي للوثائق المكتوبة. وتأسيسا على ذلك ستمثل هذه الدراسة إختبارا حقيقيا لمكسباتنا المعرفية العامة حول التوطن الجبلي وإختبارا كذلك لمدى أهمية العلوم المساعدة في الدراسات التاريخية عندما يتعلق البحث بمثل هذه الإشكاليات الدقيقة.

**كلمات مفاتيح:** تاريخ العصور القديمة، علم الآثار، توطن تونس، الماء، السند، التوطن الجبلي.

### تقديم جغرافي

تقع قرية السند ضمن سلسلة جبال عرباطة على بعد حوالي 11 كلم جنوب مدينة السند-المحطة كما تبعد حوالي 50 كلم على مدينة قفصة الواقعة غربا. ويمكن الولوج إلى هذه القرية عبر مضيق جبلي (خنقة) لا يتجاوز عرضه 25م وينحصر بين جبل تقرنوش وجبل الظهرة اللذان يمتدان من الجنوب الغربي نحو الشمالالشرقي ويمثلان الحدود الشمالية الغربية للموقع. في حين يمثل جبل زاعيشة الحد الجنوبي الشرقي وتمتد مرتفعات تاغظحات وجبارة على الحدود الشمالية الشرقية، وأخيرا يشكل جبل التلة الناحية الجنوبية الغربية. ويبدو الموقع وفقا لهذه الحدود على هيئة حوض طبيعي تحيط به الجبال من كل الجهات مما أدى الى بروز عدد هام من الأودية:

وادي السند: ينطلق من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي سافلة جبل الظهرة وهو أهم الأودية في المجال المدرس ويطلق عليها اسم محدد كل بضعة أمتار. حيث يسمى وادي تمدوين ثم وادي بري ثم وادي الناصرية ثم وادي الحمارة وأخيرا عندما يخرج من القرية في اتجاه الشمال يصبح أسمه وادي ريتان.

ولا شك أن أهمية هذا الوادي تتأتى من كثرة السفوح المحدقة به التي تزوده بمياه السيل أثناء نزول الأمطار، فهو يستفيد مباشرة من السفح الشرقي والجنوبي الشرقي لجبل الظهرة والسفح الشمالي الشرقي لجبل تفرنوشة والشمالي الشرقي لجبل السانف. كما تنتهي إليه مياه أودية محرز والإحساء و سعيديان التي تمتد بصفة متعامدة. ( لوحة عدد 01 )

وادي محرز: يتجه من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي ثم ينحرف نحو الشمال ليلتقي مع وادي السند في مستوى مدخل القرية. ويستفيد أساسا من السفح الشرقي لجبل تفرنوشة وهو أصغر الأودية وأقلها امتدادا. ( لوحة عدد 01 )

وادي الإحساء: يتخذ هذا الوادي نفس المسار الذي يتخذه الوادي السابق ويلتقي مع وادي السند في مستوى الموقع الذي يسمى الشرشارة وسط القرية. ويأتي في المرتبة الثانية من حيث الاتساع والامتداد وكذلك نظرا لكثرة روافده وتشعبها.

يتغذى المجرى الرئيسي لهذا الوادي من السفح الجنوبي الشرقي لجبل تفرنوشة كما تستفيد روافده من السفوح الشمالية الغربية لجبل زاعيشة. ( لوحة عدد 01 )

وادي سعيديان: ينطلق من الشرق نحو الغرب تحت تسمية وادي السلخة ثم يتغير اتجاهه ليصبح نحو الشمال ويتغير اسمه ليصبح وادي سعيديان. وتنتهي الى هذا الوادي مياه السيول التي تتلقاها هضاب جبارة المنفرعة عن جبل تاغطحجات وكذلك مياه السفوح الشمالية لجبل زاعيشة. ( لوحة عدد 01 )

إن هذه الوضعية الجغرافية جعلت من موقع السند خزانا طبيعيا هاميا لمياه السيول، ورغم قلة التساقطات في المنطقة ( لا تتجاوز 200 مم ) فالثابت أن التجمّع الدوري عبر الأزمنة التاريخية لكميات هائلة من مياه الأمطار في مجال محدد سواء بصفة مباشرة أو عبر سفوح المرتفعات المحدقة به أدى الى تكون طبقة مائية سطحية هامة.

ومما يدل على أهمية هذا المحزون المائي في المنطقة، كثرة الآبار والعيون التي تتركز جلّها في بطون الأودية وحواشيتها. غير أن اقتراب هذه المنشآت من بعضها البعض يؤدي الى نضوب الكثير منها على إمتداد جزء هام من السنة، بحيث لا تسترد نشاطها إلا أثناء نزول الأمطار في حين يرتفع منسوب الماء في الناشط منها بصفة متواصلة إلى درجة الفيضان أحيانا.

ويعتبر هذا الوضع الطبيعي ملائما عموما للاستقرار البشري وقد وقع استغلاله منذ القدم وتحديدًا خلال

العهد الروماني<sup>(1)</sup> وكذلك خلال الفترات اللاحقة، كما عملت المجموعات المحلية خاصة على التأقلم مع هذا المجال والاستفادة مما يوفره من إمكانيات هيدرولوجية بما اعتمدته من وسائل وتقنيات على درجة كبيرة من الخصوصية.

## أولاً: المحددات الكرونولوجية لإشكالية التوطن

### 1/ الموقع الاثري

تظهر آثار الموقع الاثري على امتداد السفح الشرقي والجنوبي الشرقي لجبل الظهرة وفي مواقع متفرقة من قمة نفس المرتفع. ويمكن أن يميّز عموماً بين وحدتين أساسيتين: المغاور أو الكهوف التي كانت تمثل المجال السكني من ناحية، ومعمار الغرف الذي يمثل نسبة هامة من المجال المبني فضلاً عن بعض العناصر المعمارية المتفرقة من ناحية أخرى.

### أ/ المغاور الجبلية

تشرف مغاور السفح الجنوبي الشرقي على آثار البلدة القديمة<sup>(2)</sup> ووادي الحمازة. ويبلغ عددها 21 كهفاً<sup>(3)</sup> بما في ذلك كهفين هيناً كمعاصر لإستخراج الزيت. أما مغاور السفح الشرقي التي تقع في مستوى أكثر ارتفاعاً من المجموعة الأولى فيتجاوز عددها إجمالاً 30 كهفاً حافظ الكثير منها على هيئته الأصلية ومنها ثلاثة كهوف احتوت على آثار معاصر زيتون. ووفقاً للتصميم الداخلي للمغاور يمكن أن نفرق بين ثلاثة أصناف:

- (1) راجع: Ameur YOUNÈS, Moustari BOUKTHIR, Mohamed Sadok BENSALÈM, « Étude préliminaire sur l'alimentation en eau des agglomérations antiques et médiévales dans le secteur d'ESSNED », in *Eau et peuplement au Maghreb durant l'Antiquité et le Moyen Age* (III<sup>ème</sup> Colloque International), textes édités par Mohamed HASSEN, Tunis, 2009.
- (2) تدرج هذه الآثار ضمن المستوى الثاني من حركة التعمير والإسكان التي مرت بها قرية السند. إذ أن المستوى الأول يتمثل في المواقع التي توجد على قمة المرتفع تضاف إليها المغاور التي توجد أسفل منها. أما المستوى الثالث فيتمثل في التجمع السكني الحديث. وتعكس هذه المستويات الثلاثة حركة النزول التي قام بها السكان المخلبون من قمة الجبل نحو المواقع السهلية ولاشك أن هذا التحول ساهمت فيه عدة عوامل منها على وجه الخصوص استتباب الأمن. للقيام بالمقارنة مع مواقع أخرى راجع: André LOUIS et Stanley HALLET, « Évolution d'un habitat: le monde berbère », in *IBLA*, 42<sup>e</sup> année, 143/1 (1979), pp.249-267.
- (3) وهو عدد المغاور التي لاتزال قائمة. إذ أن العدد الحقيقي يتجاوز ذلك غير أن أعمال التهيئة التي أُنجزت في هذا الموقع أدت إلى طمس وهدم العديد من المغاور.

### المغاوير البسيطة أو ذات الغرفة الواحدة

وهي المغاوير الأكثر عددا سواء على السفح الجنوبي الشرقي أو على السفح الشرقي و تتميز ببساطة التصميم. إذ تتكون في الغالب من قاعة واحدة تأخذ شكلا بيضويا أو شبه مستطيل وتمثل الفضاء الداخلي، كما تتسم الجدران بازدياد تقاربها مع ازدياد الارتفاع لتبلغ حدها الأقصى عند السقف. ومن الملاحظ أن هذه المغاوير تتشابه من حيث الشكل وخاصة من حيث أبعاد الفضاء الداخلي ومقاييس المدخل. (لوحة عدد 02)

وتتخلل جدران بعض هذه المغاوير حفر جانبية أو تجويفات تهيئ أسفل الجدار ولا يتجاوز عمقها في الغالب 50 سم. وهي مواضع تستعمل لوضع الأغراض والمؤونة وحفظها. كما تحتوي مغاوير أخرى على غرفة ثانية إلى جانب الغرفة الرئيسية مخصصة للنوم. تهيئ هذه الغرفة جانبيا أو في عمق الغار وفي مستوى أقل انخفاضاً من الغرفة الأولى حيث يستوجب الولوج إليها الانحناء الشديد نظرا لصغر مدخلها.

### المغاوير المركبة أو المتعددة الغرف

تتكون هذه المغاوير من مجموعة من الفضاءات الداخلية تهيئ إما في نفس المستوى أو على مستويات متراكبة. إذ يفتح الغار على قاعة أمامية تعتبر بمثابة فضاء الاستقبال وانطلاقا منها تتفرع الفضاءات الأخرى في اتجاه واحد أو في عدة اتجاهات. (لوحة عدد 03)

يستوجب المرور من فضاء إلى آخر داخل نفس الغار الصعود أو النزول. من جهة أخرى تحتوي هذه المغاوير غالبا على أكثر من منفذ، فقد يصل عدد المنافذ أحيانا إلى الأربعة. على أن هذه المنافذ لا تستعمل كلها كأبواب، فنظرا لصغر حجم بعضها وارتفاعها الملحوظ على الأرضية الداخلية للغار يقتصر استعمالها على الإضاءة والتهوية.

يعكس حجم الغار وتعدد فضاءاته حجم المجموعة العائلية التي تقيم فيه، ومن غير المستبعد أن تكون هذه الفضاءات قد هيأت على مراحل. وارتبط ذلك أساسا بازدياد عدد أفراد العائلة أو بانضمام عناصر جديدة إليها. كما لا يقتصر التصميم الداخلي لهذه المغاوير المركبة على نموذج واحد، إذ تختلف النماذج باختلاف الوظائف وقد يُعد شكل الغار أثناء عملية الحفر ذاتها، باعتبار أن الحافر يتبع مواضع الحفر السهلة والتي يمكن التعمق فيها.

ويستوجب حفر الغار في نفس الوقت الالتزام ببعض القواعد الهندسية، من ذلك الحرص على أن لا يكون الغار عريضا بصفة مفرطة وضرورة ترك دعائم وسطية أثناء عملية الحفر لتجنب حالات التصدع والانحيار.

### المغاور - المعاصر

يحتوي السفح الجنوبي الشرقي على مغارتين مازالتا تحتفظان ببعض آثار العناصر المكونة لمعاصر الزيت. أما في السفح الشرقي فتبدو الآثار أقل وضوحا نظرا للأضرار التي لحقت بالمغاور مما تسبب في طمس جل هذه العناصر<sup>(4)</sup>. ويعكس ما ظل قائما منها أهمية عدد المعاصر في هذا السفح فقد يتجاوز الاربعة. وتتسم المغاور - المعاصر بتصميم داخلي مخصوص، إذ تحتوي على بعض التجويفات الجانبية المخصصة لوضع الزيتون المعد للعصر وينقسم الفضاء الداخلي إلى وحدتين متكاملتين تختص كل وحدة بمرحلة من مراحل إنتاج الزيت. (لوحة عدد 04)

### - وحدة الجرش أو المعجنة:

وهي الوحدة المخصصة لعجن حبات الزيتون، وتتكون من رحائين أحدهما ثابتة وأخرى متحركة:

- ✓ تبني الرحي الأولى التي تسمى " الفرشة " على أرضية مسطحة وفي محيط دائري وسط الغار. تأخذ شكلا اسطوانيا ويتراوح قطرها انطلاقا من العينات التي مازالت ماثلة من 1,5م الى 2 م أما ارتفاعها فلا يتجاوز المتر الواحد. ( صورة عدد 01)
- تحيط بسطح هذه الرحي حافة مبنية بالحجارة يبلغ ارتفاعها 25 صم فتبدو على هيئة حوض دائري الشكل. تميل هذه الحافة نحو مركز الرحي ويتمثل دورها في منع حبات الزيتون من السقوط على الجوانب عند القيام بعملية الجرش.
- ✓ أما الرحي المتحركة وتسمى "الفرقيبة"، فهي عبارة عن قطعة من الحجارة الصلبة ذات شكل أسطوانى يبلغ قطرها حوالي 50 صم وارتفاعها 80 صم وينفذ منها ثقب في الوسط. توضع هذه الرحي فوق سطح الرحي الأولى الثابتة بطريقة أفقية بين المحور والحافة. ( صورة عدد 01)

تتم عملية العجن بواسطة محور أفقي يسمى المدار يتخلل الرحي الأفقية ليشد إلى المحور العمودي المثبت بين مركز الرحي الثابتة من جهة وسقف الغار من جهة أخرى. ويشد المحور الأفقي من الطرف الآخر إلى دابة

(4) أشارت الدراسة التي أعدها بيار باردان سنة 1939 حول الجبلية في جهة قفصة الى وجود عشرة معاصر مازالت آثارها قائمة في مغاور السند الجبل، ولا شك أن العدد الحقيقي يتجاوز العشرة نظرا لاهمية شجرة الزيتون في هذه المنطقة وبناء على الصبغة العائلية التي تتسم بها الملكية في القرى الجبلية بصفة خاصة وفي المجتمعات الزراعية عموما. راجع: Pierre BARDIN, « Les Jebalia de la région de Gafsa. Étude des populations berbères des massifs montagneux à l'est de Gafsa », in *Revue Tunisienne*, nouvelle série, 30 (1939), pp. 87-126, notamment pp. 99-100.

تقوم بالدوران على محيط الرحي الثابتة، وخلال هذه العملية يتم تحريك الرحي الأفقية لدهس حبات الزيتون<sup>(5)</sup>. (لوحة عدد 05)

### وحدة العصر أو المعصرة:

تحمياً أحد أركان الغار للقيام بعملية العصر التي يستعمل فيها الساري كوحدة أساسية، وهو عبارة عن جذع شجرة بطوم أو شجرة نخيل يبلغ طوله حوالي 6 أمتار. يوضع هذا الجذع بطريقة أفقية في المكان المخصص له ويرتكز في مستوى طرفيه على دعامتين حجريتين. وعند الفراغ من عملية الجرش يوضع عجين الزيتون في الشوامي التي توضع الواحدة فوق الأخرى تحت الساري وعلى حافة الحوض المعد لتجميع الزيت. يقع تثبيت الساري من الطرف الداخلي الذي يمتد في عمق الداموس ويشد من الطرف الخارجي إلى ثقل يتمثل في حجارة ضخمة تقوم بسحب الساري نحو الأسفل والزيادة في وزنه والضغط على الشوامي. تدوم هذه العملية بضع ساعات يسيل أثناءها الزيت نحو حوض التجميع ومن ثم يقع تصفيته من الشوائب في حوض آخر مخصص للغرض، وبعد الانتهاء من عملية العصر يقع رفع الساري بواسطة دولاب مثبت في سطح الغار لإفراغ الشوامي وإعادة ملئها من جديد. (لوحة عدد 06)

### ب/ المجال المبني

تمتد آثار البناء على كامل جبل الظهرة ويرتبط هذا الامتداد أساسا بالمجال السكني المتكون من المغاور. إذ تبرز المجموعة الأولى من الآثار مباشرة فوق المغاور المحفورة في السفح الجنوبي الشرقي وتعتبر امتدادا لها. ثم تبرز المجموعة الثانية مباشرة فوق المغاور المحفورة في السفح الشرقي وتتمثل على وجه التحديد في "بليدة الناصرية"، وعليه يمكن أن نتبين تباعا الوحدات الأثرية التالية:

- ✓ برج دائري الشكل يبلغ ارتفاعه 1,5 م وقطره 1,3 م. يشرف هذا البرج على السهول الشمالية إلى حدود جبل ماجورة والسهول الغربية التي تصل إلى منطقة عمرة.
- ✓ خلوة سيدي أبو هلال: آثار زاوية حديثة بنيت على الأرجح فوق أنقاض إنشاء يرجع إلى الفترة الوسيطة، نظرا لتوفر مادة الخزف الإسلامي في هذا الموقع.

(5) تستعمل هذه التقنية في الجنوب التونسي بصفة عامة كما تستعمل في منطقة المغرب الأقصى مع بعض الاختلافات الجزئية. راجع: M. A. JOLY, « L'olivier et l'huile dans le Sud tunisien (Matmata et Djebel Labiod) », in *Revue Scientifique*, 1908, pp. 460-462.

- ✓ آثار وحدات عمرانية متفرقة تتكون من غرف متلاصقة ومختلفة الأبعاد. إذ يتراوح عرضها بين 1,2 و 2 م ويتراوح طولها بين 2 و 3 أمتار ويصل معدل ارتفاع بقايا الجدران الى 2 م.
- ✓ بليدة الناصرية: تمتد آثار هذا الموقع مباشرة فوق المغاور المحفورة في السطح الشرقي وتتمثل في مجموعة من الغرف الصغيرة المتلاصقة التي لا يتجاوز معدل عرضها 2 م وطولها 4 أمتار. ويمتد بناء هذه الغرف في شكل شريط بطول حوالي 125 م وبعرض 30 م. ويخضع هذا الشكل الى ما سمحت به طبيعة الموقع من إمكانيات للبناء، حيث نلاحظ الكثير من التتواتر الصخرية والمنخفضات التي تعتبر بمثابة الفواصل الطبيعية بين وحدات الغرف. (لوحة عدد 07)

يبدو المعمار الممتد على هذا المجال شبيها الى حد كبير بقصور الجنوب الشرقي التونسي، ويظهر هذا التشابه خاصة في اعتماد الغرفة كأهم عنصر معماري في عملية التخطيط والبناء كما وقع الاعتماد أساسا على مادة الجبس لتنفيذ هذه العملية. وفي المقابل فإن المخطط العام لمعمار الموقع المدرس لا يحاكي تماما مخططات القصور واللافات في هذا الاطار خاصة غياب الشكل المربع لمعمار الغرف والساحة الوسطى التي تمثل فضاء مشتركا. وقد عوضت هذه الساحة بممرات ضيقة تمتد بين الغرف وتصل بينها.

## 2/ الطوبونيميا

لا شك أن مختلف التعبيرات اللغوية والأسماء التي تحيل الى المواقع والتضاريس والحيوانات والنبات في مجال جغرافي محدد تمثل أحد أهم ركائز هوية المكان. ويعد البحث في دلالات هذه المصطلحات تبعا لذلك من أبرز المفاتيح المعرفية لفهم الوقائع التاريخية والاجتماعية في سياق تفاعلها مع الفضاء الذي كان مسرحا لها. ومن هذا المنطلق تتأتى الأهمية الخاصة التي توليها الدراسات التاريخية لعلم الاعلام الجغرافية أو الامكانية كما يسميها البعض ( la toponymie )<sup>(6)</sup> بإعتباره من العلوم المساعدة ورافدا أساسيا من روافد البحث العلمي. ولعل ذلك يرتبط أيضا بإحتفاظ مجالات التوطن البشري بأسماء لم تعد تستعمل في قاموس اللغة اليومية المحكية. وتبعا لذلك فإن هذا العلم سيمكن الباحث من إستكشاف مجالات التوطن من زاوية مغايرة لمسارات البحث المألوفة.

والواقع أن خصوصية المجال المدرس الذي يتشكل إجمالا من الطوبونوميا الامازيغية يستوجب بداية إلماما دقيقا بالمعجم الامازيغي ومبادئ الاعراب ومقتضيات الاشتقاق اللغوي. لذلك فإن البحث في هذا الاطار

(6) راجع: رشيد الحسين، « الاعلام الجغرافية والهوية (1) » ، مقال ورد في جريدة أكرام أمانغ، 83، أكتوبر 2001، ص 5.



لا يتعلق بدراسة وافية وجرى منهجي لكل المفردات المستعملة، وإنما سنقتصر على بعض من هذه المفردات التي تم التوصل الى شرحها لغويا ودلاليا كمنطلق للتحليل.

## أ/ المنشآت المائية

### العيون

عين جانا: عين ناضبة تقع على بعد حوالي 2 كلم غرب الموقع المروس، وقد وردت كلمة "جانا" في المصادر خلال أكثر من مناسبة وأفادنا ابن خلدون ضمن فصل خصصه للتدقيق " في تسمية زناة ومبنى هذه الكلمة أن أصل لفظة زناة من صيغة جانا التي هي اسم أبي الجليل كله، وهو جانا بن يحيى المذكور في نسبهم. وهم ( البربر ) إذا أرادوا الجنس في التعميم أحقوا بالاسم المفرد تاء فقالوا جانات. وإذا أرادوا التعميم زادوا مع التاء نونا فصار جاناتن، ونطقهم بهذه الجيم ليس من مخرج الجيم عند العرب بل ينطقون بها بين الجيم والشين وأميل الى السين، ويقرب للسمع منها بعض الصفير فأبدلوا زايا محضة لاتصال مخرج الزاي بالسين، فصارت زانات لفظا مفردا دالا على الجنس. ثم أحقوا به هاء النسبة وحذفوا الألف التي بعد الزاي تخفيفا لكثرة دورانه على اللسان والله أعلم"<sup>(7)</sup>.

عين تغيال: عين ناضبة كانت تنبع في مرتفعات جبل بياضة جنوب غربي جبل تقرنوش. ومنها ينطلق واد هام في إتجاه السهول الشمالية ويمر تحديدا عبر منطقة تفرطست. وتنطق عبارة تغيال بغير مفتحمة وهي جمع مؤنث، مفرده: تَغْيُولْتُ، أي الاتان أو أنثى الحمار، ولعل في ذلك تأكيد على أن هذا المورد المائي كان مقصدا للحيوانات المذكورة حتى تسمى بها. والملاحظ في هذا الاطار أن مسلكا جبليا ينتهي الى موقع العين لا يزال ماثلا الى حد اليوم.

### الآبار

بئر الحمارة: بئر حية مازل أهل القرية الى اليوم يتزودون منها بالماء الصالح للشرب، وهي تقع مباشرة سافلة آثار القرية القديمة على حافة الوادي. وتنسب هذه البئر الى الحمارة كإحدى أهم المجموعات التي ساهمت في تكوين الرصيد البشري لهذه المنطقة.

بئر الاحساء: تقع هذه البئر على حافة الوادي الذي يحمل نفس الاسم جنوب شرقي بئر الحمارة وهي تعد من الموارد المائية الاساسية لأهالي القرية. وكلمة أحساء عربية وهي جمع حسي الذي عرفه ابن سيّدة بأنه "

(7) ابن خلدون، تاريخ، م. س، ج VII، صص 10-11.

سهل من الارض يستنقع فيه الماء، وقيل: هو غلظ فوقه رمل يجتمع فيه ماء السماء، فكلما نزحت دلوا جمّت أخرى" (8)

### الأودية

وادي تمدوين: يمتد هذا الوادي سافلة جبل الظهرة من الغرب نحو الشرق ويصل الى حدود جبل سقوفطة. وهو جزء من وادي يعد الأكثر أهمية في المجال مدار البحث حيث يتغير إسمه بعد كل بضعة مئات من الامتار. وعبارة تمدوين إسماً أمازيغياً ورد في صيغة الجمع المؤنث ومفرداً "تمدا" وهو إسم يطلق على الجمع المائي.

ولا شك أن في هذه التسمية إحالة على وفرة الماء في هذا الوادي، الشيء الذي يمكن تبينه من خلال كثرة الابار والعيون ومنها خاصة عقلة سقوفطة<sup>(9)</sup>.

**سوف نّ سعد:** بمعنى وادي سعد الذي يمتد من الجنوب نحو الشمال، حيث يتغذى من المياه التي تجري على سفوح وفي شعاب تغاطحات وينتهي في وادي تمدوين.

**وادي ريان<sup>(10)</sup>:** يعد هذا الوادي من أهم المنشآت المائية الطبيعية في المنطقة، وهو ينطلق من وسط القرية سافلة جبل الظهرة متجهاً نحو الشمال الشرقي حيث يخترق السهل الشمالي على مسافة هامة. و"ريان" كلمة عربية واضحة وهي من الري والارتواء، وورد في لسان العرب أن "الريان من الرّواء وهو الماء الذي يروى، فهو ريان، وامرأة ريان، فالريان فعلان من الرّي، والالف واللام زائدتان، مثلهما في عطشان"<sup>(11)</sup>. ولعل هذا الاسم يحيل الى أهمية المياه التي كانت تجري في هذا الوادي خاصة وأنه يتغذى من روافد وسفوح عدة ويمر عبر مجالات فلاحية هامة.

(8) ابن منظور، لسان العرب، م. س.، المجلد الثاني، مادة: حسا، ص 880.

(9) تحيل عبارة عقلة الى كثرة الماء وورد لدى التيجاني أن "العقلة عند العرب هي التي يجبس الماء فيها عن أن يسير".

التيجاني، رحلة، ص 183. راجع أيضاً: Carte de Tunisie, 1/50 000- type 1922, ES SENED, feuille n°

CXIX – b15- c34.

(10) راجع: Carte de Tunisie;

(11) ابن منظور، لسان العرب، م. س.، المجلد الثالث، مادة: رين، ص 1797.

### تلاث نْ جَبَّوج

- تلاث = شِعبَة، جمعها: تَلَاتِينْ، أو: تَلْيُونْ، أي الشعاب.
  - نْ = نون النسبة
  - جَبَّوج = أَجْبُوج أو: أَرْبُوج = الزيتون البري. ويسمى أيضا: أزمور.
- يمتد هذا الموقع شمال غربي جبل الظهرة ويحده جنوبا وادي رَيَان سالف الذكر، و عبارة "تلاث نْ جَبَّوج" تعني "شعبة الزيتون البري" وهي تسمية تحيل الى الواقع الجغرافي للموقع الذي يتكون من مجموعة من الهضات تتخللها مجاري مياه فرعية تشكلت بمفعول مياه السيلاان التي تجري على السفح الشمالي لجبل الظهرة. والملاحظ أيضا أن هذا الواقع الجغرافي كان ملائما لغراسة الزيتون بشكل ملحوظ.

### ب/ الجبال

#### جبل تيزي توَّگرت

- يمتد من الغرب نحو الشرق كجزء من جبل زاعيشة الذي يمتد قبالة القرية من الناحية الجنوبية.
- تيزي = الفج، المضيق الجبلي.
  - توَّگرت، تاَّگورت = الباب، الحاجز.
- ومن البين أن هذه التسمية الجغرافية مستمدة من المشهد التضاريسي للموقع، حيث تحيل الى المنفذ الجبلي الذي يمر بين الجبل المذكور وجبل تغاطحات والذي يجري عبره وادي السلخة.

#### جبل أخف نْ إرگاز وجبل تغروط

- يشكل هذين المرتفعين نفس الكتلة الجبلية التي تمثل الحدود الشرقية لقرية السند.
- إخف نْ إرگاز: إخف = الرأس ( عند الانسان والحيوان والجماد ). نْ = نون النسبة. إرگاز = الرجل.
- تغروط = ( يغين مفخمة) = الكنتف، جمعها: تَغْرَاضْ.
- وتوافق هذه التسمية مع الشكل الطبوغرافي للمرتفعين، حيث يتميز المرتفع الاول بإرتفاعه الملحوظ وهو يطل بقمته الرأسية على بقية المرتفعات المحيطة به. في حين يمتد الجبل الثاني في مستوى أقل إرتفاع وهو يمثل ضمن هذه الكتلة الجبلية ما يمثله الكنتف في الجسم، ويطلق الاسم على مكان يشبه الكنتف في شكله الطبوغرافي وفي موقعه.

## ج/ المواقع الجبلية والمجالات الفلاحية

### آيت إبراهيم

موقع فلاحى جبلى يمتد على بعد حوالي 2 كلم غرب القرية، ويتكون من عدد هام من أجنة الزيتون. وقد تحيل تسمية آيت إبراهيم التي تعني بني إبراهيم الى المجموعة القبلية أو العائلية التي كانت تستغل هذا المجال.

### تفرتاست

سهل فسيح يمتد شمال مرتفعات السند في مستوى جبل بياضة، وتتخلل هذا السهل بعض الهضاب القليلة الارتفاع وتحترقه اودية ومجاري مائية أهمها وادي الدفلة.

وعبارة "تفرتاست" صيغة مؤنثة. والمذكر: أفرطاس بمعنى الأقرع، كما تعني كذلك " الارض الحصية"<sup>(12)</sup> واذ يبدو الموقع حاليا عامرا بأشجار الزيتون والملكيات الفلاحية الخاصة فإن دلالة التسمية قد تحيل الى ما كان عليه من إنعدام لأي وجه من وجوه العمارة.

### تامكسا

مجال فلاحى يمتد سافلة جبل الظهر من الناحية الجنوبية ومجاذى مباشرة وادي تمدوين. يقال تامكسا أو تاكساوت بمعنى الرعي، ورغم أن هذا المجال عامر حاليا بأشجار الزيتون فمن المرجح ان يكون قد لعب دور المرعى في فترات سابقة.

## الشرشارة

آشرشار ( بالراء المفخمة ): المصب أو الشلال، ويؤنث فيقال تشرشارت، ويقال: آشرشر بمعنى الصب، وإيتشرشر بمعنى يصب، وإيشرشر بمعنى أي صب الماء أو جرجر الماء بمعنى أحدث صوتا في جريانه. وفي العربية يقال شرشر الشيء: قطعته وكل قطعة منه شرشرة<sup>(13)</sup>.

والشرشارة من المواقع المعروفة والبارزة في السند، حيث تتركز قبالة مغاور السفح الجنوبي الشرقي على يسار العابر للطريق المارة عبر القرية. وهي أيضا نقطة إلتقاء بين وادي الاحساء ووادي الحماسة، لذلك تتحول أثناء نزول الامطال الى نقطة تجميع للمياه المناسبة من الوادي الاول الاكثر إرتفاعا في موقع الالتقاء مع الوادي الثاني الذي يتلقى ما يفيض عن هذا الموقع من رشوحات في شكل مجاري مائية تزيد أهميتها أو تتضائل حسب كميات الامطار. ( صورة عدد 02 )

(12) محمد شفيق، المعجم العربي الامازيغي، مادة: حصى، ص 247.

(13) ابن منظور، لسان العرب، المجلد الرابع، مادة: شرر، ص 2233.

### تغاييمت

تغاييمت ( مؤنث )، والمذكر: أغايمم بمعنى القصب، وتطلق هذه العبارة على موقع جبلي يمتد جنوب غربي جبل تقرونوش وبه عين ماء تحمل نفس الاسم. ويتكون هذا الموقع من أجنة خاصة للزيتون، ومن المرجح أن يكون قد عرف بإنتشار أشجار القصب وفقا لما يدل عليه إسمه.

انطلاقا من هذه العينات التي إستقيناها من السجل الطوبونومي للمجال المدروس يمكن أن نسجل الملاحظات التالية:

- سيطرة التسميات الامازيغية على المعجم الطوبونومي للموقع المدروس وكذلك للمجال المحيط به، وتعد هذه الملاحظة من ناحية أولى معطي إضافي يؤكد إنتساب المجموعات البشرية التي عمّرت الموقع لأول مرة الى البربر، وتحيل كذلك الى ضعف عملية التعريب.
- ومن ناحية ثانية تعكس هذه الملاحظة توسع حضور هذه المجموعات وتجاوزها الفضاء المدروس بهدف البحث عن مجالات حيوية للرعي والفلاحة. كما أن إستقرار بعض المجموعات البشرية الأخرى في المواقع المتاخمة ضمن ما يعرف بالقرى الجبلية قد يكون له دور هام في وضع هذه التسميات<sup>(14)</sup>.
- الكثافة الجالية لأسماء المواقع والعناصر الطبيعية الأخرى المكونة للمجال، حيث أنه رغم محدودية الفضاء الجغرافي المدروس لا يمكن في المقابل التوصل الى وضع قائمة نهائية بالأسماء المتواترة، وهو ما أفرز تجزئة ملحوظة للمجال على المستوى الطوبونومي. ولا شك أن هذه الظاهرة تمثل شكلا من أشكال التعامل مع مجال جغرافي صعب تملكه والسيطرة عليه.
- تطلق جل أسماء المواقع ومكونات المجال المدروس بالاعتماد على أربعة عناصر أساسية تتمثل في شكل التضاريس والثروة المائية، طبيعة الارض، الغطاء النباتي، إضافة الى الاسماء التي تستعين بأعضاء الجسم البشري والحيوان. ومن الملاحظ أن هذه الظاهرة تعد خاصة من خاصيات المعجم الامازيغي في بلاد المغرب<sup>(15)</sup>.

(14) تجدر الإشارة في هذا الاطار الى أن جبل عرابطة يظم آثار بعض نواتات التوطن الجبلي التي أخلاها ساكنوها لفائدة مستقرات أخرى أقل صعوبة من حيث الموقع. ويمكن أن نذكر منها أولاد بوسعد وبوعمرانوالعبابشة، ولا شك أن القيام بدراسات نموذجية دقيقة حول هذه المواقع من شأنه أن يضيء لنا جوانب حول التوطن الجبلي بإفريقية عموما.

راجع: Pierre BARDIN, « Les Jebalia de la région de Gafsa ... », *op.cit.*

(15) رشيد الحسين، « الاعلام الجغرافية والهوية (5) »، مقال ورد في جريدة أكرادو أمازينغ، عدد 83، أكتوبر 2001، ص 5.

- تعد بعض التسميات في المجال المدروس مجال توارد بين الامازيغية والعربية وهو ما يدل على الدور الذي قامت به المجموعات البشرية التي توافدت على المنطقة في إثراء المشهد الطبونومي القائم إما بتحوير بعض الاسماء أو بتعريب أخرى أو بإطلاق أسماء جديدة كلياً.

### 3/ الخزف

من المعلوم أن دراسة الخزف تعتبر من المحاور البالغة الأهمية التي يجب أن يتعرض لها الباحث عندما يتعلق الامر بدراسة موقع أثري، فالخزف يعتبر عنصراً أساسياً في وضع تحديد كرونولوجي لمجال الدراسة وقد يكون هذا التحديد عاماً أو دقيقاً وفقاً لمدى توفر ودقة عدة معطيات أخرى مثل الإشارات النصية والنقاش والطبونوميا.

غير أن الأمر يختلف شيئاً ما بالنسبة للمجال الذي نحن بصددده، إذ أننا نواجه صعوبتين:

- صعوبة أولى تتأتى من قلة الدراسات التي تخص الخزف الإسلامي بافريقية، وهو ما يجعل من عملية تصنيف وتبويب اللقى الخزفية التي تم العثور عليها في الموقع مهمة صعبة. ومما يزيد الأمر تعقيداً أن هذه اللقى إنما هي شقافات صغيرة ومبعثرة لا تسمح بتكوين صورة واضحة ودقيقة عن خصائص ومصدر هذا الخزف.

- أما الصعوبة الثانية فتتأتى من غياب "المؤشرات التاريخية" المساعدة التي يمكن الاستئناس بها لضبط الإطار الكرونولوجي لمادة الخزف وللموقع المدروس بصفة عامة.

ومن هذا المنطلق فإن أفق البحث في هذه المسألة يعتبر محدوداً، وينتظر الإثراء بما قد تسفر عنه الدراسات المستقبلية من نتائج. أما الدراسات المتاحة فسنعتمدها للمقارنة في سياق دراستنا لما تم جمعه من شقافات الخزف من المجال المدروس، وتحديدًا من الموقع الأثري المسمى محلياً "بليدة الناصرية".

وتمثل القطع الفخارية في هذا الموقع نسبة هامة من اللقى التي تم رصدها على أديم الأرض، غير أن أغلبها يمثل أجزاء من البدن كما نجد ونسبة أقل شقافات لشبابيك قلل، في حين قلّمنا عثرنا على أجزاء من الحافة أو من قاعدة الآنية. وقد تشكلت هذه الشقافات عموماً من عجينة ذات لون أحمر.

أما بالنسبة للخزف المطلي فإن النسبة الكبيرة منه تتكون من الخزف ذو اللون الأحادي الأخضر. وبناء على ذلك فإنه من الصعب أن نقوم بتصنيف دقيق لهذه اللقى الخزفية اعتماداً على الشكل والزخرفة، وإنما

سنحاول تبين بعض خصائص الوحدات الزخرفية المستعملة والألوان المعتمدة بدراسة عينات مختلفة. وبالاستناد الى المقارنة مع القطع التي وقع استخراجها من الحفريات والاسبار وتمت دراستها وتصنيفها، وهو ما سبقودنا في نهاية التحليل إلى محاولة وضع إطار كرونولوجي عام للعينات المدروسة. ( لوحة عدد 08 )

### أ/ الخزف ذو اللون الثنائي

تتكون هذه المجموعة من سبعة قطع تشترك في معطين أساسيين: لون الطلاء، وهو لون لبني ( قطعة: 1، 2، 3، 4 ) مع ميلان طفيف الى الاخضرار ( قطعة: 5 ) فيما عدا قطعتين واحدة طليت باللون الأخضر ( قطعة: 6 ) وتفتقد أخرى الى الطلاء تماما ( قطعة 7 ). ولون الزخرفة التي حُطت كلها وبدون استثناء باللون الداكن.

أما الوحدات الزخرفية المستعملة فالغالب عليها الزخارف الهندسية. إذ تستعمل الضفيرة التي تصمم بين خطوط متوازنة للإحاطة بالمستوى العلوي للطبق من الداخل ( قطعة: 2، 6)، كما تستعمل الخطوط التي ترسم على هيئة أقواس متلاصقة لتزيين شفير الأنية ( قطعة: 3 ). أما الخطوط المتقاطعة والحنيات الصغيرة المتلاصقة فتوظف لملاء الفراغات ( قطعة: 1، 4، 7 ). ونعائين في نفس المجموعة شكل النجمة الذي رسم على المساحة الداخلية للأنية في مستوى المركز ( قطعة: 5 )

### قطعة عدد 01

المقاييس:

- سمك 0,7 صم

الوصف: قطعة من الخزف تعود لقاع جفنة ذات شكل منكسر رسم عليها شكل لوزي يوحي بورقة نباتية، تملؤه خطوط متعامدة على هيئة شبكة. ويحد في الركن العلوي من القطعة أشكالا زخرفية أخرى غير واضحة المعالم لكن يمكن أن نتبين الشكل الحلزوني. وقد أحيطت هذه الزخارف بخطين متوازيين يبدو الخط العلوي أكثر سمكا من الخط الذي أسفل منه.

رسم هذان الخطان كما هو الشأن بالنسبة لمختلف العناصر الزخرفية الاخرى باللون البني الداكن على أرضية لبينية.

### قطعة عدد 02

المقاييس:

سمك 0,9 صم

الوصف: قطعة من الخزف تمثل جزء من طرف طبق حافته سميككة. قوام زخرفتها صغيرة تتوسط ثلاثة خطوط متوازية من الأعلى وثلاثة خطوط متوازية من الأسفل وقد رسمت هذه الزخارف باللون البني الداكن على أرضية لبنية. هذا ونلاحظ أن الطلاء من النوع الجيد

### قطعة عدد 03

السمك: 0,9 صم

الوصف: قطعة خزفية تمثل جزء من طرف طبق تظهر في نهايته العليا ثنية، رسم عليه في أعلى مستوى من الداخل خطين متوازيين باللون البني الداكن وبسمك ملحوظ ( 1 صم )، كما يظهر على الشفير خطين في شكل قوسين متلاصقين رسما باللون البني الداكن أيضا. أما الأرضية فلونها لبني مع انعدام الطلاء في بعض المناطق.

### قطعة عدد 04

المقاييس:

السمك: 0,7 صم

الارتفاع: 3 صم

الوصف: قطعة من الخزف تمثل جزء من قاعدة جفنة، وتظهر الزخرفة التي رسمت بلون داكن محيطية بمركز القاعدة من جهتين، حيث يمتد من كل جهة خطان متوازيان وفوقهما مباشرة تبرز مجموعة من الحنيات الصغيرة المتلاصقة والمتراكبة مشكلة ما يشبه قشرة الحوت. أما الأرضية فلونها لبني.

### قطعة عدد 05

المقاييس:

السمك: 1,7 صم

الارتفاع: 4 صم

الوصف: جزء من قاعدة جفنة يتضمن البعض من زخرفة هندسية تبدو وحدة متكاملة توحى بشكل النجمة.

بقي من هذه الزخرفة خط سميك بلون بني داكن يلعب دور الإطار المحيط بكامل الزخرفة. وبشكل مواز وتحته مباشرة نجد خط آخر أقل سمكا، يأخذ نفس الشكل ويلعب نفس الدور. أما الزخارف التي تملأ الفراغ الوسطي فتتمثل في مجموعة من الأقواس والخطوط المنحنية ودوائر غير مكتملة إضافة الى بعض النقاط الكبيرة ولا يبدو أن واضع هذه الزخارف قد راعي تنظيما محددًا في ذلك.

ولئن طلي سطح هذه القطعة من الداخل باللون الأخضر الفاتح فان طلائها الخارجي بلون أصفر لامع.



**قطعة عدد 06**

المقاييس:

السّمك 0,9 صم

الوصف: قطعة من الخزف تمثل على الأرجح جزء من حاشية طبق، رسم عليها ضفيرة بلون بني داكن، ويحيط بهذه الضفيرة خطّان متوازيان من الأعلى وخطان متوازيان من الأسفل ربما أيضا باللون البني الداكن. أما السطح فقد طلي باللون الأخضر الفاتح.

والملاحظ كذلك أن شفير هذه القطعة المقلوب نحو الخارج في شكل تنوء يتجاوز بدن الطبق بـ 1,3 صم قد رسم عليه مجموعتين من الخطوط المتوازية والمتعامدة مع الاتجاه الدائري للطبق، تضم كل مجموعة خمسة خطوط باللون البني الداكن.

**قطعة عدد 07**

السّمك: 0,7 صم

قطعة من خزف قد تكون جزء من طبق أو حفنة صغيرة نظرا لضعف سمكها، رسم عليها مجموعة من الخطوط بطريقة مائلة ومتقاطعة لتبدو على هيئة شبكة. ولون هذه الخطوط بني داكن كما أحيطت بخط أكثر سمكا وبنفس اللون، في حين انتزع دهان الأرضية.

**ب/ الخزف المتعدد الألوان**

تضم هذه المجموعة أيضا سبعة قطع وقد حافظت من جهة على بعض خصوصيات المجموعة الأولى. من ذلك أن بعض القطع حافظت على الطلاء اللبني المائل إلى الخضرة (قطعة عدد 8، 13). كما حافظت على بعض العناصر الزخرفية، حيث ظلت الضفيرة المرسومة بين خطّين متوازيين أو أكثر الزخرفة الأساسية التي نجدها على حافة الآنية من الداخل، أما الخط الداكن فقد حافظ على نفس الدور ونفس الموقع في أعلى مستوى من الآنية (قطعة عدد: 9، 10، 11، 14).

وحملت هذه القطع من جهة أخرى خصائص جديدة تتمثل في اللون الأخضر الذي أستعمل، وبدرجات مختلفة من الإشراق، لتغطية السطح وللزخرفة في نفس الوقت (قطعة: 9، 10، 11، 12، 14). كما وظف للزخرفة أيضا اللون الأزرق (قطعة عدد: 9، 10) والفيروزي الذي يبدو من نوعية جيّدة (قطعة: 12، 13).

**قطعة عدد 08**

المقاييس:

سمك: 0,8 صم

ارتفاع: 3,4 صم

الوصف: قطعة خزفية تمثل جزء من قاعدة جفنة وقد زيّت بمجموعة من الأشرطة تأخذ في الضيق كلما اتجهت نحو القاعدة مكونة ما يشبه الأشعة. وملئت هذه الأشرطة في اثنين منها بخطوط متقاطعة وملء شريط آخر باللون الأخضر في حين لم نبتئ الوحدات الزخرفية للشريطين الآخرين وقد يكون اللون الأخضر والخطوط المتقاطعة العناصر المستعملة في بقية الأشرطة بالتناوب.

ما يميز هذه القطعة، احتواءها على ثلاثة ألوان: البني الداكن الذي استعمل في رسم جميع الخطوط والأخضر المستعمل لملء الفراغ والأصفر الذي يميل إلى الاخضرار الذي استعمل لطلاي الأرضية.

### قطعة عدد 09

المقاييس:

السمك: 0,9 صم

الوصف: قطعة من الخزف تمثل جزء من حافة صحن. وتتكون عناصرها الزخرفية من خط سميك نسبيا بلون بني داكن يسير مع شفير القطعة، ثم يظهر خطان متوازيان بلون أزرق وبسمك أقل. أما العنصر الزخرفي الثالث فيتمثل في الظفيرة التي خطت باللون الأزرق أيضا. ثم يظهر من جديد خط أزرق بنفس سمك الخطين السابقين، فخط بلون بني داكن وبسمك أكبر فخطان أزرقان. وقد وضعت كل هذه الخطوط على أرضية لبنية مائلة للأخضر الفاتح.

### قطعة عدد 10

المقاييس:

السمك: 0,8 صم

الوصف: جزء من حاشية صحن ذو حافة خارجية بارزة قوام زخرفته أربعة خطوط متوازية خطت بالتناوب باللون البني الداكن ثم الأزرق. كما تظهر في أحد اركان الجزء الذي ينتمي الى بدن الطبق بداية زخرفة باللون الأزرق لم نبتئ ملاحظها. أما الأرضية فقد طليت باللون الأصفر الذي يميل الى الاخضرار.

### قطعة عدد 11

المقاييس:

السمك: 0,9 صم

الوصف: قطعة من الخزف تمثل جزء من حاشية طبق وتعتمد في زخرفتها على ضفيرة رسمت باللون الأخضر.

ومن الواضح أن تنفيذ هذه الضفيرة ورسمها على الطبق كان ضعيفا نظرا لعدم تساوي أحجام الوحدات الهندسية المكونة لها والتي تشبه حرف ال s اللاتيني في وضع نائم، كما أن تسلسل هذه الأشكال لم يكن بالتناظر المطلوب.

وقد حصرت هذه الضفيرة بين خطين باللون الأخضر القاني أيضا أما الخط الذي يساير الشفير والذي يبدو أكثر سمكا من الخطين السابقين فلونه بني داكن. والأرضية بالاحضر الفاتح.

### قطعة عدد 12

السمك: 0,9 صم

الوصف: قطعة من الخزف تنتمي لقاع جفنة يتوسطها معين خط بمجموعة من الأشرطة، قوام كل شريط أربعة خطوط متوازية ثلاثة منهم باللون البني الداكن وثالث باللون الأزرق. وقد وقع رسم شريطين من هذه الاشرطة بشكل متوازي يزدادان اقترابا من بعضهما البعض في اتجاه معين أما الشريط الثالث فأتجاهه عموديا مع الشريطين السابقين.

ونلاحظ في أحد أركان القطعة زخرفة من نوع آخر تأخذ شكل مجموعة من الحنيات المتلاصقة والمتراكبة لتظهر على هيئة قشرة الحوت. وقد حطّت مختلف هذه الزخارف على أرضية طليت باللون الاخضر الفاتح.

### قطعة عدد 13

السمك: 0,9 صم

الوصف: قطعة من الخزف تمثل على الارجح جزء من طبق، رسم عليها خطوط مقوسة شيئا ما باللون البني الفاتح وأخرى باللون الأزرق الغامق، أما السطح فقد طلي بلون أخضر فاتح.

### قطعة عدد 14

السمك: 0,9 صم

قطعة من الخزف طليت باللون اللبني المخضر تمثل جزء من حافة طبق في أعلاه ثنية. زخرفت هذه القطعة بصفيرة رسمت باللون الأزرق الفيروزي وحصرت بين خطين بنفس اللون أيضا، ثم خطين آخرين باللون البني الداكن.

## ج/ محاولة تحديد كرونولوجي

إن النتائج التي يمكن التوصل إليها في هذا الإطار ترتبط بما رشح من معطيات عن البحوث الأثرية التي حصّت على وجه التحديد مدن رقادة وصبرة المنصورية و المهديّة وتونس.

ويمكن أن نفكر بادئ ذي بدء، في عاصمة الاغالبية مدينة رقاده ( 263 هـ - 876 م / 296 هـ - 909 م ) كمصدر للخزف المدروس استنادا إلى كونها المركز الأقرب إلى منطقة السند مقارنة مع المدن الأخرى. غير أن الخصوصيات الأساسية التي تميز خزف رقادة عن غيره لا نجد لها أثرا في العينات المدروسة. من ذلك اللون الأصفر العسلي الذي يسمى بـ "أصفر رقادة" والذي يستعمل لتغطية الأرضيات. وكذلك عنصر الزخرفة بالكتابة، من خلال رسم كلمة "الملك" أو "الملك لله" عدة مرات ضمن إفريز دائري يحيط بالآنية من الداخل<sup>(16)</sup>. وهي من مميزات خزف رقادة الذي يشترك في المقابل مع أصناف أخرى في بعض الخصائص العامة كاستعمال اللونين الأخضر والداكن.

على أننا يمكن أن نلاحظ تشابها في التفاصيل بين العينات المدروسة والقطع التي تنتمي إلى خزف صيرة المنصورية ( 336 هـ - 947 م / 451 هـ - 1060 م ). حيث كشفت الدراسة التي خصت هذا الخزف واستنادا إلى مجموعة من العينات من كل صنف أن أرضية هذه العينات إما أنها لبنية، وهو اللون الغالب، أو لبنية تميل إلى الاخضرار أو خضراء. أما لون الزخرفة فقد استعمل اللون البني الداكن على أرضية لبنية أو لبنية مع اخضرار بالنسبة للخزف ذو اللون الواحد. ووظف اللون نفسه إضافة إلى اللون الأخضر الفاتح والداكن واللون الأزرق على أرضية لبنية أو لبنية مع اخضرار أو خضراء بالنسبة للخزف المتعدد الألوان.

أما نقطة الالتقاء الثالثة فتمثل في الوحدات الزخرفية المستعملة، حيث نجد زخارف قوامها الصفائر وزخارف تعتمد الخطوط المتوازية والمتقاطعة وأخرى تقوم على الخطوط المتداخلة<sup>(17)</sup>.

ومما له دلالة في هذا الإطار أن اللون الجديد الذي ظهر على خزف صيرة المنصورية والذي يتمثل في اللون الفيروزي<sup>(18)</sup>، نجده ماثلا في قطعتين من العينات المدروسة ( قطعة عدد: 12، 14 ). كما أن الزخرفة باستعمال النجمة ذات الرؤوس الثمانية التي يظهر جزء منها على القطعة عدد 5، أدرجها كل من M. و J. Ferron.

(16) راجع: الشابي، « خزف رقادة »، مجلة فنون. عدد خاص، وزارة الثقافة، أوت 1987، تونس، صص 98-107. Abdelaziz DAOUALATI، « La céramique ifriqiyenne du IX<sup>e</sup> au XV<sup>e</sup> siècle », in *La céramique médiévale en Méditerranée occidentale X<sup>e</sup>-XV<sup>e</sup> siècles. Colloques internationaux C.N.R.S.* (Valbonne, 11-14 septembre 1978), Paris, 1980, pp. 197-320. Mourad RAMMAH، « La céramique de Raqqada : IX<sup>e</sup>-X<sup>e</sup> siècle », pp. 92-94 ; Abdelaziz DAOUALATI، « Le IX<sup>e</sup> siècle : la jaune de Raqqada », pp. 95-96, in *Couleurs de Tunisie ; 25 siècles de céramique*, Institut du monde arabe, Paris (13 décembre 1994-23 mars 1995), Musée des Augustins, Toulouse (24 avril-31 juillet 1995), exposition organisée avec le concours de l'Institut National du Patrimoine, Tunis.

(17) حامد العجاني، « خزف صيرة المنصورية »، دورية إفريقية، ع 11-12، تونس 1992-1993.

(18) راجع: 131. p. *Couleurs de Tunisie, op. cit.*.

Pinard ضمن السجل الزخرفي الذي يعود إلى القرنين 11 و 12 م في حين يرى عبد العزيز الدولاتلي أنها ظهرت على الأرجح خلال فترة لاحقة ( ق 13 و 16 م )<sup>(19)</sup>.

وفي سياق المقارنة أيضا كشفت العينات التي تنتمي إلى الخزف الفاطمي-الزيري الذي استخرج أثناء حفريات قصر القائم بالمهدية (تأسست في 308 هـ / 921 م )<sup>(20)</sup>. عن أوجه تشابه عديدة مع العينات المدروسة.

فاللون اللبني أو اللبني المائل إلى الخضرة الذي استعمل لطلاء الأرضية واللون الداكن الذي رسمت به الزخرفة، والصفائرة بأشكالها المختلفة المرسومة على حاشية الآنية من الداخل و الشكل الشعاعي المنطلق من وسط الآنية والخطوط المتقاطعة أو الحلزونية الشكل أو المنحنيات التي وظفت كوححدات زخرفية ملء الفراغات. كل هذه العناصر والخصائص نجدها ماثلة في عينات خزف موقع بليدة الناصرية. كما يمكن أن نلاحظ تماثلا شبه مطلقا بين بعض القطع الخزفية في مستوى الشكل واللون والزخارف المعتمدة. ( قارن قطعة عدد: 2، 6، 8. مع رسم عدد 31، 32، 33. ضمن مقال عدنان الوحيشي، الخزف الفاطمي والزيري ... ).

إن ما يمكن تبيّنه من التحليل السابق مفاده أن الخزف الموجود في الموقع الأثري بليدة الناصرية، بعناصره الزخرفية وألوانه المختلفة يندرج ضمن سجل الخزف الإفريقي الذي ظهر خلال الفترة الوسيطة وكما بيّنت المقارنة نقاط التوازي مع الأصناف الخزفية السابقة حيث وصلت إلى حد التماثل بين بعض العينات، فانه يمكن أن نلاحظ هذا التوازي وبدرجة ملحوظة أيضا مع الأصناف الخزفية الأخرى. كالخزف الإسلامي بقرطاج الذي يرجع إلى الفترة الممتدة ما بين القرنين الخامس والسادس هجري XI و XII م<sup>(21)</sup>. وخزف الفترة الوسيطة المتأخرة أو الخزف الحفصي فيما بين القرن السابع والقرن التاسع هجري ( XIII و XV م )<sup>(22)</sup>.

والواقع أن الاعتماد على عنصر المقارنة لا يمكننا إلا من تخمينات ونتائج مؤقتة، خاصة وأن نسبة هامة من الخزف المدروس لا ينزل ضمن حدود كرونولوجية دقيقة. لذلك فان إمكانية إدراج خزف السندي ضمن الرصيد الذي تم الكشف عنه فيما بين القرنين الرابع والثامن هجري ( 10 و 15 ميلادي ) يعتبر الرأي الأقرب إلى الصحة، غير أنه يمكن تدقيقه وحصره لاحقا بتقدم الأبحاث بما قد يرشح من معطيات جديدة

Abdelaziz DAOUALATI, *op. cit.*, p 201. (19)

Adnan LOUHICHI, « La céramique fatimide et ziride de Mahdia d'après les fouilles de Qasr al-Qaim », in *La céramique médiévale en Méditerranée* (Actes du VI<sup>e</sup> congrès de L'AIECM2 Aix-en-Provence, 13-18 novembre 1995), Aix-en-Provence, 1997. (20)

*Couleurs de Tunisie, op. cit.*, pp. 102-104. (21)

Abdelaziz DAOUALATI, *op. cit.*, p. 201. (22)

توفرها التحاليل المخبرية والحفريات التي تعتمد علم طبقات الأرض .

### ثانيا : الماء والتهئية المائية

#### 1/ التزود بالماء الصالح للشرب ؟

لم نلاحظ في المجال الذي يحتوي المغاور أي أثر لمنشآت مائية معدة لتحصيل ماء الشرب، في حين تضمن مجال بلدية الناصرية ماجل دائري الشكل يقع مباشرة تحت آثار البلدة من الناحية الشرقية ويبلغ قطره حوالي 1,8 م وعمقه حوالي 2 م. وقد بني بواسطة حجارة صغيرة الحجم وطلاي كامل الجدار بملاط مائي كتيتم. (صورة عدد 03)

ولا شك أن تزويد هذا المجال بالماء كان يعتمد على مياه الامطار إما بصفة مباشرة أو عن طريق تهيئة بعض الوسائط التي تسمح بتجميع الماء وتحويله غير أن آثارها لم تعد قائمة.

وتوفير الماء يعد بلا شك أكبر تحد واجهه سكان هذا الموقع، حيث أن الاعتماد على مياه الامطار الموسمية لا يمكن أن يؤمن وفرة الماء بشكل منتظم ودائم، ولم يكشف البحث الميداني من جهة أخرى على مؤشرات أثرية أو طوبونومية تحيل الى وجود عين ماء أو بئر على عين المكان. ومن ثم فإنه لا يبدو أن السكان كان لهم من خيار آخر سوى الاعتماد على الموارد المائية الجاورة.

والمقصود بهذه الموارد ذلك العدد الهائل من الابار التي تتوزع على كامل مجال القرية والتي تعكس ثراء المائدة المائية وقرب المياه من سطح الارض. فقد تم إحصاء ما لا يقل عن 19 بئرا أغلبها آبار حية منها أربعة لاتزال الى اليوم تزود السكان بالماء الصالح للشرب: بئر الحماسة، بئر الاحساء، بئر سعيان وبئر بري في حين يقتصر إستغلال الابار الاخرى على النشاط الفلاحي العائلي أو الاستعمال المنزلي، مع وجود صنف ثالث من الابار المهملة.

تتركز جلّ هذه الابار على بعض المحاور التي تمثل الاودية الرئيسية بالقرية وهي: وادي محرز، وادي الاحساء، وادي سعيان، وادي الحماسة ووادي بري، والملاحظ أن العدد الاكبر من هذه الابار تتركز في وادي الحماسة وتحديدا فيما بين نقطة إنتقائه بوادي الاحساء ونقطة إنتقائه بوادي سعيان. كما تضيق المسافة الفاصلة بين بئر وآخر في هذه المواقع نفسها حيث لا تتجاوز في بعض الاحيان الـ 30 مترا.

( لوحة عدد 09 )

واللافت للإنتباه أن شبكة الابار وأسمائها قد تحددت على أساس قبلي، فلكل مجموعة تنحدر من نفس الجد بئر أو أكثر تحمل أسمها وتقتصر في إستغلالها على العائلات المستقرة حولها. وقد ساهم هذا الوضع في ظهور البستنة كشكل من أشكال النشاط الفلاحي، حيث تمتد الوحدات العائلية للإنتاج الزراعي على ضفاف الاودية لإنتاج الخضروات خاصة. وإذا كان من الجائز التأكيد على أن عملية إحداث هذه الابار قد

تزامنت مع حركة نزول المجموعات البشرية التي كانت تعمر سفوح الجبال نحو المجال السفلي فإن تحديد إطار كرونولوجي دقيق لهذا التحول تعد مهمة صعبة نظرا لغياب الوثيقة التاريخية بمختلف أصنافها. على أن هذه الابار في نهاية التحليل تمثل مؤشرا قويا على الوفرة المائية بالمنطقة وهو بلا شك العامل الاساسي الذي حفّز التوطين البشري في هذا الموقع، ويبدو أن مصادر التزود بالماء خلال الفترة الوسيطة قد إقتصر على بعض الينابيع ذات الدفق القوي والقريبة أكثر من مواقع السكن.

## 2/ المجال الفلاحي

تمتد آثار التهئية الفلاحية على السفوح الشمالية والشمالية الغربية لجبل الظهرة، وتتمثل على وجه التحديد في بقايا جدران بنيت بحجارة مختلفة الأحجام وتماسكت بواسطة الجبس. وقد كانت تلعب دور الحواجز التي تتراكم وراءها التربة وتحتجز مياه السيول فتتكون مجموعة من المساطب أو المدرجات المتراكبة تستغل في النشاط ألفلاحي.

غير أن شدة انحدار هذه السفوح بما في ذلك من تلميح الى قوة اندفاع مياه السيل أثناء نزول الأمطار، إضافة إلى غلبة الحجارة الصغيرة على البناء، ساهما في اندثار جل مكونات المجال ألفلاحي، ويتمثل المؤشر الوحيد في تقدير أهمية عدد المدرجات في كثرة الحجارة المتناثرة على أديم السفوح.

ولئن تم رصد ثلاثة مجالات فلاحية على هذا النحو، فإن مجالا واحدا منها تبدو آثاره أكثر إكتمالا ويمكن من خلال دراسته الانتهاء الى معطيات هامة والتعرف على طبيعة وخصوصيات التهئية المائية الجبلية.

## أ/بيانات ومواصفات المجال الفلاحي

يقع هذا المجال سافلة آثار بليدة الناصرية، على سفح شمالي شديد الانحدار يتسم بعدم انبساط سطحه وبمحدودية امتداده العرّضي. إذ يحد هذا السفح من الجهتين مرتفعان يسيران امتداده من الأعلى إلى الأسفل ويحدها من امتداد عرضه فلا يتجاوز 45 مترا. وهو يتكون من آثار 15 جسرا قمنا برفع بياناتها إعتقادا على قياس طول الجدران التي تحتجز وراءها التربة وإرتفاعها. كما قمنا بوصف هذه الجدران مع الاحالة الى مختلف الوحدات المائية الاخرى التي يمكن ملاحظتها على عين المكان. وقد تدرّجنا في هذه العملية على أعلى المجال نحو الاسفل.

المواصفات	الوصف
<b>جدار ع01</b> الاتجاه: جنوب/شمال - الطول: 14 م - الارتفاع: 1 م	يقع هذا الجدار في أعلى مستوى من المجال الفلاحي، في الناحية الجنوبية الشرقية وقد استعملت الحجارة الصغيرة والمتوسطة في بناءه، غير أنه غير مكتمل وتتخلله العديد من الخروق.
<b>جدار ع02</b> الاتجاه: جنوب/شمال - الطول: 16 م - الارتفاع: 0,7 م	تتخلل هذه الجدار أيضا بعض الخروق وتبدو بعض الأجزاء منه مطموسة تماما.
<b>جدار ع03</b> الاتجاه: جنوب/شمال - الطول: 36 م - الارتفاع: 0,7 م	تمتد آثار هذا الجدار في شكل أجزاء متقطعة ومتباعدة في بعض الأحيان، والملاحظ أنه أكثر امتدادا من الجدار الذي يقع أعلاه ومن الجدار الذي يقع أسفل منه وذلك نظرا لان المجال الفلاحي في هذا المستوى يصل إلى الحد الأقصى من الامتداد العرضي.
<b>جدار ع04</b> الاتجاه: جنوب/شمال - الطول: 6 م - الارتفاع: 0,7 م	تقدر المسافة الفاصلة بين هذا الجدار والجدار عدد 4 حوالي 8 أمتار وتتركز الآثار التي لا تزال قائمة في الناحية الجنوبية.
<b>جدار ع05</b> الاتجاه: جنوب/شمال - الطول: 5 م - الارتفاع: 0,7 م	تتركز آثار الجزء المتبقي من هذا الجدار في الناحية الجنوبية أيضا وابتعد عن الآثار التي تعلوها حوالي 6 أمتار.
<b>جدار ع06</b> الاتجاه: جنوب/شمال - الطول: 1,3 م - الارتفاع: 0,6 م	لم يبق من هذا الجدار إلا جزء صغير يقع في الناحية الشمالية وتبعد عن آثار الجدار أعلاه 9 أمتار.



<p>يبعد عن الجدار عدد 6 حوالي 12 م ولم يبق منه إلا بعض الاجزاء المتفرقة. ويتخلله تقويس نحو الداخل في المستوى الوسطي ليتلائم مع طبوغرافية السطح.</p>	<p><b>جدار ع07</b> الاتجاه: جنوب/شمال - الطول: 15 م - الارتفاع: 1 م</p>
<p>تقدر المسافة التي تفصله عن الجدار عدد 07 حوالي 11 م ويتكون من أجزاء متفرقة ويتخلله تقويس أيضا في المستوى الوسطي.</p>	<p><b>جدار ع08</b> الاتجاه: جنوب/شمال - الطول: 11 م - الارتفاع: 70 م</p>
<p>يبعد عن الجدار عدد 12 08 متر ويلاحظ أن عرض المجال الفلاحي في هذا المستوى يتسع بشكل ملحوظ. يتخلل هذا الجدار منفسين: منفس جانبي في الجهة الشمالية يبلغ إتساعه 102 م. وقد أنشأت تحت هذا المنفس قاعدة حجرية في شكل مسطبة تقع عليها مياه السيالان. ومنفس جانبي آخر في الجهة الجنوبية له نفس مواصفات المنفس الاول.</p>	<p><b>جدار ع09</b> الاتجاه: جنوب/شمال - الطول: 38 م - الارتفاع: 1.5 م</p>
<p>يقع على بعد 20 متر من الجدار الذي يعلوه ويتخلله منفس جانبي من الجهة الشمالية. والملاحظ أن المسافة التي تفصله عن الجدار السابق تنسم بكثرة الحجارة الكبيرة بحيث يصعب تهيئتها وتفليحها.</p>	<p><b>جدار ع10</b> الاتجاه: جنوب/شمال - الطول: 15 م - الارتفاع: 1 م</p>
<p>إندرثر جل هذا الجدار وبالكاد يمكن تبيّنه من خلال عدد محدود من الاجزاء المتفرقة القليلة الطول والارتفاع. والملاحظ أن المجال الوسطي لهذا الجسر قد وقعت إعادة تهيئته من خلال بناء جدار جديد للمحافظة على ثبات التربة، وقد تضمن هذا المجال شجرة زيتون.</p>	<p><b>جدار ع11</b> الاتجاه: جنوب/شمال - الطول: 3 م - الارتفاع: 70 صم</p>
<p>يصبح المجال الفلاحي بعد الجسر عدد 11 أكثر إتساعا بحيث يبرز مجال ثان في الناحية الجنوبية، في حين تتواصل سلسلة الجسور التي تمتد تحت الجسر الحادي عشر. والملاحظ أيضا وجود مجرى مائي يفصل بين</p>	

المجالين ويتلقى فائض مياه السيول. يتخلل هذا المجال الجنوبي عدد هام من آثار الجدران التي تحتجز ورائها تربة الفضائات الفلاحية والتي تمتد على طول المجال الفلاحي بقدر 12 م. في حين يبلغ معدل عرضها حوالي 10 أمتار.	
جدار عـ12ـ دد	يمتد هذا الجدار بشكل متعرج وفقا لما يستوجبه السطح الصخري والمتعدد المنخفضات، والملاحظ وجود منفس في الجهة الشمالية يبلغ إتساعه 1,30 م. ولا يتجاوز عرض الفضاء القابل للإستغلال والمغطى بالتربة 8 م، حيث أن المجال الذي يمتد مباشرة سافلة الجسر عدد 11 يتسم بانتشار الصخور الكبيرة التي حالت دون إستغلاله وهيئة في شكل جسر.
جدار عـ13ـ دد	لا تزال أجزاء هامة قائمة من هذا الجدار الذي يفصله عن الجدار عدد 12 مسافة 8 م.
جدار عـ14ـ دد	يبعد عن الجدار عدد 13 حوالي 16 م وما تزال منه بعض الاجزاء المفرقة والمتباعدة.
جدار عـ15ـ دد	إندرثر هذا الجدار كليا ولم يبق منه إلا بعض آثار السطور السفلى، وتقدر المسافة التي تفصله عن الجدار عدد 14 حوالي 16 متر. منها حوالي 7 أمتار هي عرض المجال الممكن إستغلاله والذي يتمثل في إمتداد التربة المحتجزة خلف الجدار 15.

#### ب/ تهيئة المجال الفلاحي: التقنيات والخصائص

نلاحظ في بداية التحليل أن مساحة السفح الذي تمت دراسته تبلغ حوالي 0,75 هـ وقد ضم أكثر من 20 جسرا، بمعنى أنه يوجد جسر واحد كل 375 م<sup>2</sup>. ولا تبدو هذه المعطيات على درجة كبيرة من الدقة لكن إعتمادها يمكن أن يقربنا من الواقع الفلاحي الذي نحن بصدده.

تمتد الفضاءات المهئية في أغلب الحالات في شكل مجموعة من المدرجات المتراكبة تفصل بينها الجدران التي تحتجز التربة أو ما يسمى بالطايبية، وفي حالات أخرى تمتد بعض الجسور على مسافات بعيدة نسبيا على الجسور التي تعلوها والجسور التي تقع أسفلها، وذلك عندما تصطدم عمليات الاستصلاح بمساحات صخرية يصعب تهيتها بسبب كثرة التوءات والصخور الكبيرة.

ومن ناحية أخرى لا تتبع هذه الجسور نفس المسار من الأعلى الى الأسفل حيث أن طبيعة السفح هي التي تتحكم في مواقع هذه الجسور وهيتها ومقاييسها. كما أن وجود أكثر من جسر في نفس مستوى الارتفاع عملية ممكنة وقد لاحظنا ذلك في المجال المدروس.

والملاحظ أن مساحة الفضاءات القابلة للإستغلال الفلاحي ضمن هذا المجال لا تخضع لمقاييس محددة، إنما كان الحرص على توفير أكبر عدد ممكن من هذه الفضاءات يقضي بتهيئة كل شبر من الارض يمكن إستصلاحه. ولا تبدو هذه الفضاءات مختلفة في مقاييسها عن الفضاءات المستغلة حاليا في غراسة الزيتون والتي تسمى في صيغة المفرد بـ"الجنان" أو "الولجة" وهي تسع بداية من شجرة زيتون واحدة الى حدود 15 شجرة.

وقد أوردت بعض الدراسات التي خصصت لنفس الموضوع أن الجسور بجبال مطماطة تغطي مساحة تقدر بحوالي 300.000 هكتار. كما تنفيذ الصور الجوية لنفس المجال أن هئية ثلاثين طابية أو جسر يمكن أن توفر مساحة فلاحية تقدر بـ1,7 هكتار بمعنى أن كل طابية توفر 600 م<sup>2</sup> (23). وإذ يتجاوز هذا المعدل مساحة الفضاءات التي يوفرها المجال المدروس، فإن المستغلات الحالية التي تحيط بهذا المجال تصل في مساحتها الى هذا المعدل وتتجاوزه في كثير من الأحيان. ولا شيء يمنعنا في هذا الإطار من التخمين في أن النشاط الفلاحي خلال الفترة الوسيطة لم يقتصر على المجال المدروس وإنما امتد أيضا الى هذه المستغلات الحديثة التي تحمل كلها أسماء بريرية.

تتمثل عملية تهية الجسور في مد سطور من الحجارة على عرض السفح وتكديس الأتربة ورائها، ويزداد سمك هذه التربة شيئا فشيئا مع تزايد سطور الحجارة التي تشكل جدار الدعم. حيث يمكن أن يصل ارتفاع هذا الجدار الى 2 م في حين لا يتجاوز أحيانا أخرى 50 صم. ويرتبط معدل إرتفاع الجدار بمدى شدة إنحدار السفح فكلما زاد الانحدار زاد الارتفاع وكلما زاد الارتفاع زاد عرض المجال القابل للاستغلال. وتبقى

(23) Jean-Jacque PÉRENNÈS, *L'eau et les hommes au Maghreb : contribution à une politique de l'eau en Méditerranée*, Paris, Édition Karthala, 1993, p. 89 ; Saleheddine EL AMAMI, « Technologies traditionnelles et développement des environnements africains : utilisation des eaux de ruissellement, les *meskats* et d'autres techniques en Tunisie », *Sciences Sociales*, 7 (1982), pp. 7-18.

هذه الجدران قابلة لإضافة أسطر جديدة من الحجارة، حيث أن كميات الطمي التي تحملها مياه السيول والتي تتكدس بصفة دورية في المجالات المهينة تؤدي الى الزيادة في سمك التربة التي تستوجب حمايتها من التصدع والانحيار. وإذا كان من الصعب التكهن بمعدل حجم التربة التي يمكن أن تضاف سنويا الى المجال الفلاحي الاصيلي ضمن الفضاء المدرس، فإن هذا المعدل يبلغ حوالي 4 صم بجسور جبال مطماطة ويمكن أن يصل الى 2 م بعد خمسين سنة. ووفقا لهذه الزيادة فإن عملية الرفع في مستوى المنفس تجري مرة كل 10 سنوات. ولاشك أن المعدلات المسجلة في هذا المجال يمكن أن تتماثل أو تقترب من المعدلات المسجلة في جبال السند نظرا لوقوع المجالين تحت نفس الظروف الجغرافية.

يلجأ المشرفون على عملية الاستصلاح التي تشبه عمليات البستنة الى عدة حيل تقنية لتيسير هذه العملية وللرفع من كفاءة الجسر والعناصر المكونة له. حيث يتم الاعتماد خاصة على "الجرفة" وهي صفيحة من الحديد المشبك مزودة بمقبضين ويقع جرها بواسطة دابة لتسوية التربة على كامل الفضاء المزعم إستغلاله وتنقيته من الحجارة والحصى. ويسبق هذه العملية مجهود أولي يهدف الى قلب التربة وتحريكها بواسطة المعرقة ليسهل في مرحلة ثانية إعادة توزيعها على كامل الفضاء.

أما عمليات البناء التي تظهر في بعض الوحدات المكونة للجسر فيعتمد في تنفيذها على مادة الجبس حيث رصدت هذه التقنية في عدة مواقع بالمجال المدرس في حين عوضت في مواقع أخرى بواسطة التراب والقش. وتخضع عملية تهئية هذه الوحدات واختيار مواقعها الى عدة اعتبارات، فالمناسف على سبيل المثال، ومن خلال آثار العينات القائمة، تتركز في مواقع جانبية. والملاحظ أن بعضها قد زود بوحدات دعم إضافية تتمثل في جدار ثان يدعم الجدار الرئيسي وقاعدة حجرية في شكل مسطبة تقع عليها مياه السيول التي تزيد عن حاجة الجسر.

ونظرا لخصوصية التهئية الفلاحية الجبلية وما تفرضه من تراكم للأجنة فإنه يقع تجنب تناظر المناسف ووضعها في نفس المستوى من كل طابية، وذلك لفسح المجال أمام مياه السيول المناسبة من جسر الى آخر للتوزع على كامل الفضاءات الفلاحية القابلة للإستغلال ولكي لا يتسبب الانتقال المباشر والسريع للماء في حفر التربة وإنجرافها.

كما تتطلب خدمة هذه الجسور وبنائها تظافر أكبر قدر ممكن من الجهود، وهو ما يستوجب توفر الوفاق الاجتماعي الذي يضمن مشاركة عدد هام من أفراد المجموعة المحلية في هذه العملية. ولا يتوقف هذا الشكل من التضامن في هذا المستوى من الأشغال الفلاحية بل يظهر كذلك في عمليات الصيانة والتعهد. حيث أن الخصائص البيئية للمجال المدرس تجعل مختلف العناصر المكونة للجسور مهددة إما بالانكسار أو بالانطمار أو بالتغدق، وغالبا ما يتسبب هطول الامطار الغزيرة في شتى مظاهر الضرر هذه. غير أن

عمليات الإصلاح والتعهد لا ترتبط فقط بالاضرار الطارئة إنما تجري كذلك بصفة دورية إستعدادا للموسم الفلاحي. وهي تتمثل خاصة في تنظيف المسقى المتمثل في الجزء العلوي من السفح المستغل، وذلك بإزالة الحجارة والحشائش وكل ما من شأنه أن يعيق الجريان السطحي للماء الذي ينتهي الى الجسور، أو يقلل من قدرته التحمّيعية لمياه الامطار.

كما تشتمل هذه العملية معالجة المنفس أو المصرف الذي يتطلب مع بداية كل موسم فلاحي تنظيفه من الشوائب لتيسير مرور المياه الزائدة عن حاجة الجسر الى الجسور السفلى. ويستوجب المنفس بعد كل فترة الترفيع في منسوب أسطر الحجارة لتحافظ على نفس المستوى مع أدم المجال الفلاحي، إذ أن هذا المعدل سيمكن من التحكم في كمية المياه المراد تحصيلها في هذا المجال.

ونظرا لاهمية الدور الذي تلعبه الطابية في استدامة استغلال منظومة الجسور، باعتبارها الوحدة الأساسية التي تطوق المجال الفلاحي والتي تحبس جزء من مياه السيول المناسبة على السفوح، فإنها تستوجب عناية خاصة ضمن عمليات الصيانة والتعهد. حيث يمكن أن تصاب الطابية بالانخراق من جزاء الامطار الغزيرة، أو بالثلوم والحفر التي تسببها الحيوانات وقد تؤدي في كثير من الاحيان الى إغيارها. كما يمكن أن يتعرض الجدار الذي يحف بالطابية من الخارج الى الاغيار الجزئي بسبب قوة الدفع المائي الذي تتعرض اليه الطابية. وتستوجب مختلف هذه الاضرار التدخل من قبل المشرفين على الجسور للقيام بعمليات الصيانة والتعهد، إذ أن الخلل الذي يصيب أحد هذه العناصر قد يؤدي الى توقف النشاط الطبيعي لكامل المنظومة الفلاحية. وذلك بناء على ما تتسم به هذه المنظومة من تكامل بين مختلف عناصر التهئية المائية.

### ج/ الجسور الجبلية: الامتداد المجالي والتواصل التاريخي

إنطلاقا من هذا الوصف التحليلي تمثل الجسور الجبلية تقنية مثلى للاستفادة من مياه الامطار على أحسن وجه بغاية الاعمار الفلاحي والتوطين البشري. وهي تمثل أيضا شاهدا ماديا لنجاح الانسان في التأقلم مع بيئة تتسم بصعوبة التضاريس والندرة المائية.

وفي كلتا الحالتين نحن بصدد تهيئة مائية قديمة جدا قدم التركز البشري بهذه الربوع. وبقدر إنتشارها في كامل شمال إفريقيا وفي عدة مناطق أخرى، فإن البحث في أصولها وفي تاريخ ظهورها يبقى بعيدا عن الدقة. حيث أن الاطروحات التي قدمت حول هذه المسألة بقيت متأرجحة بين وجهتي نظر:

أكدت وجهة النظر الاولى على دور المجموعات المحلية التي ساهمت في نشرها وتطويرها عبر الاجيال المتلاحقة، وقد أشار جون ديبوا في هذا الاطار الى إستنتاج مفاده أن تقنية المدرجات وجدت وتواصلت

حيثما وجد اللسان والتقاليد البربرية من ذلك عدة مناطق بالجنوب التونسي وبجبل نفوسة والمناطق الشاوية بالشرق الجزائري حيث تمتد جبال الاوراس، إضافة الى مناطق أخرى بجبال الاطلس الاعلى بالمغرب حيث تتركز قبائل سكساوة<sup>(24)</sup>.

كما أكد ميكال برسلو في نفس السياق على أن المجموعات الريفية المحلية سواء في المغرب أو الاندلس كانت قادرة على خلق وتهيئة فضاءات فلاحية، وأشار الى وجود مثل هذه الفضاءات في ليبيا منذ ما قبل الوجود الروماني بثلاثة أو أربعة قرون<sup>(25)</sup>.

ومن ناحية أخرى لم تغفل هذه الأطروحات الإحالة إلى دور الحضارات الخارجية الطارئة حيث أشارت على وجه الخصوص الى دور الرومان في توسع انتشار هذه التقنية جغرافيا وهي وجهة النظر الثانية.

وتتوفر في المجال المدروس وفي غيره من المجالات المماثلة عدة معطيات وشواهد مادية يمكن إعمالها لتأكيد هذه الأطروحات بشقيها. فما يعكس الطابع المحلي لتقنية الجسور يبرز بداية في سيطرة الطوبونوميا البربرية على كل عناصر المجال الجغرافي المحدث منها والطبيعي، ولا يقتصر الامر في هذا الاطار على المجال المدروس فحسب إنما كذلك على محيطه، وهو ما لاحظناه في عنصر سابق. وفي المقابل لم نسجل حضورا مؤكدا لـطوبونوميا أخرى في نفس المجال.

ونشير كذلك الى ما أكدته بعض الدراسات حول وجود جسور على درجة كبيرة من الاتقان في مناطق كانت بمنأى عن التأثير الروماني ومنها على وجه الخصوص جنوب غربي المغرب<sup>(26)</sup>. غير أن هذه الدلائل لا تعني التلازم المطلق بين تقنية المدرجات الجبلية والتوطين البربري وهو ما يبقي أفق البحث مفتوحا أمام دور محتمل لمجموعات ريفية أخرى إستوطنت المجال الجبلي والمقصود بها على وجه التحديد المجموعات العربية<sup>(27)</sup>.

Jean DESPOIS, « La culture en terrasses dans l'Afrique du Nord », in *Annales: Économie – Sociétés – Civilisations*, 11/I (1956), pp. 42-50, notamment p. 48. (24)

Miquel BARCELÓ, « El diseño de espacios irrigados en al-Andalus: un enunciado de principios generales », in *El agua que no duerme: fundamentos de la arqueología hidráulica andalusí*, Granada, 1996, pp. 54-57. (25)

Jean DESPOIS, « La culture en terrasses ... », *op. cit.*, p. 48. (26)

تجدر الإشارة في هذا الاطار الى أن المجموعات المستقرة بسهولة السند الموازية لجبل عرابطة تنتمي إلى قبيلة الهمامة التي تتوزع فرقتها وعروشها على مجال شاسع يتجاوز الحيز المدروس. ونظرا لانعدام الإشارات حولها في المصادر الوسيطة فقد كانت مثار العديد من الأسئلة حول أصولها وفروعها وتاريخ استقرارها في المنطقة. وقد اعتمدت الدراسات عموما على الروايات التي نقلها جنرالات الجيش الفرنسي في شكل تقارير مفصلة اتسمت بالاختلاف والتناقض في بعض الأحيان، كما تضمنت في نفس الوقت عدة معطيات هامة.

وتتفق كل الروايات على أن قبيلة الهمامة تنسب إلى اسم مؤسسها همام الذي أنجب ولدا سمي ربيعة وفئة تزوجت من إدريس وأخذت اسمه. اتخذ من ربيعة كل من أولاد معمر وأولاد عزيز أما إدريس فقد خلف أولاد رضوان.

أما فيما يخص المؤشرات التي تميز إمكانية الحديث عن التأثير الروماني، فتمثل خاصة في إستغلال الموارد المائية للموقع لتزويد المنشآت القديمة بمنشور المقطع. ويقدر ثبات هذا المعطى الذي سبقت دراسته<sup>(28)</sup>، فإن تبنى مقولة إسهام الحضور الروماني تبعاً لذلك في خلق أو في إنتشار تقنية المدرجات في هذه المنطقة تبدو محفوفة بالمخاطر لعدة أسباب:

- إذ أنه ليس بالإمكان في ضوء المعطيات التي نعتمدها أن نضع جدولاً زمنياً دقيقاً للتوطن البشري في الموقع المدروس، وهو ما من شأنه أن يساعدنا على إعادة ترتيب المشهد التاريخي. ومن ثم محاولة تقييم مدى أهمية الإسهامات المحتملة لمختلف الأطراف التي إستقرت بهذا الموقع أو في المجالات المحيطة به.
- إنعدام الدراسات حول المواقع الأثرية المنتشرة في السهل الموازي لجبل عرابطة إضافة إلى إندثار كل معالمها وعناصرها المعمارية، حيث بين الاستكشاف الميداني والاستأناس بالخرائط الطبوغرافية عدد لا يستهان به من هذه المواقع يمكن أن نذكر منها على سبيل المثال قصر بن نجمة<sup>(29)</sup> وهنشير الفرش<sup>(30)</sup>

تمثل هذه الفرق الثلاثة: أولاد عزيز، أولاد رضوان و أولاد معتر المجموعات الأساسية المكونة لقبيلة الهمامة وتتكون هذه المجموعات بدورها من فرق متعددة مع الإشارة إلى أن عامل النسل لم يكن المحدد الأساسي في عملية الانتماء إلى هذه المجموعة أو تلك.

والواقع أن إستقرار هذه المجموعات في المناطق السهلية لا ينفي إمكانية وجود عناصر عربية قد تكون سبقت هذه المجموعات وإستقرت بالمناطق الجبلية وإندمجت مع المجموعات المحلية. راجع: مصطفى التليلي، منطقة قفصة والهمامة في عهد محمد الصادق باي 1859-1882، دار صامد للنشر، صفاقس، تونس 2004. Lucette VALENSI, *Fellahs. tunisiens. L'économie rurale et la vie des compagnes aux 18<sup>e</sup> et 19<sup>e</sup> siècles*, Paris-La Haye, Mouton, 1977, *passim*.

(28) راجع: Ameur YOUNÈS, Moustari BOUKTHIR, Mohamed Sadok BENSALÈM, « Étude préliminaire sur l'alimentation en eau ... », *op. cit.*, pp. 149-153.

(29) يمتد هذا الموقع على بعد حوالي 3 كم جنوب شرقي محطة السند ورغم أن التسمية تحيلنا إلى وجود بناء هام فما ظل بارزاً للعيان يتمثل في عدد هائل من قطع الفخار السيجيلي الإفريقي و آثار جدران تكون قاعة مستطيلة الشكل ومسقى للماشية ويثر. وهي منشآت تبين إستغلال هذا--- --- الموقع كمزرعة خلال عهد الحماية. كما وجدت بعض الوحدات القديمة التي كانت تستعمل في عصر الزيتون تمثلت في ثلاثة منصات حجرية دائرية الشكل.

(30) يقع هنشير الفرش شمال الموقع السابق، على بعد حوالي 2 كم جنوب شرقي محطة السند ويغطي حالياً مساحة هامة تتمثل في جملة من النقاسيم الفلاحية على ملك الخواص. وقد أشار الكابيتان بريني إلى وجود كمية هامة من الحجارة المنحوتة في هذا الموقع مما يعكس أهمية البناء الذي كان قائماً.

كما حدد موقع آخر يبعد حوالي 3 كم على هذا الهنشير جنوباً ولاحظ عند منطلق واد لم يتبين اسمه وجود آثار جزأين لجدار بني بالحجارة الكبيرة المنحوتة. يبلغ ارتفاع أحدهما 2 م ويبلغ طوله حوالي 5 م، أما العرض فيتراوح بين 80 صم و 85 صم ويتمثل هذا البناء في بقية سد.

إضافة الى المواقع التي توجد بـ"بلاد<sup>(31)</sup> عمرة"<sup>(32)</sup>. غير أن صعوبة التكهن بمدى أهمية هذه المواقع وطبيعة الدور الذي لعبته في المنطقة تجعل البحث يقف في مستوى بعض المقاربات المحتملة. ومن المرجح في هذا الاطار أن تكون المواقع المشار إليها أنفا لا تعدو أن تكون محطات مسالكية أو مراكز عسكرية وجدت بالمنطقة نتيجة إنتصاب الجيش الروماني كما حصل في عدة مناطق أخرى ببلاد المغرب. ولم تكن هذه المراكز تبعا لذلك معنية بتطوير الفلاحة بل كانت تسعى من وراء جلب المياه وبناء الاحواض الكبيرة الى تحقيق حد أدنى من الرفاهية الاجتماعية<sup>(33)</sup>.

### خاتمة

في نهاية التحليل يمكن أن ندرج هذه الدراسة التي خصّصت القرية الجبلية السند ضمن مدونة الدراسات النموذجية التي تهتم بهذا الصنف من التوطن. حيث أن توسيع آفاق وإمكانات البحث والتوصل الى نتائج

لم تعد هذه الآثار قائمة اليوم، ويرجع ذلك أساسا إلى تحول المواقع إلى ملكيات فلاحية خاصة. كما أدت أعمال التهيئة التي أجرت خلال نهاية القرن التاسع عشر لمد السكة الحديدية والطريق الرئيسية رقم 14 إلى طمس العديد من الآثار الدالة على وجود مواقع قديمة. Le Capitaine PRIVÉ, «Notes archéologiques sur l'Aarad, le Majourah et le Chareb», *Bulletin Archéologique du Comité des Travaux Historiques et Scientifiques*, Paris 1895, pp. 78-131.

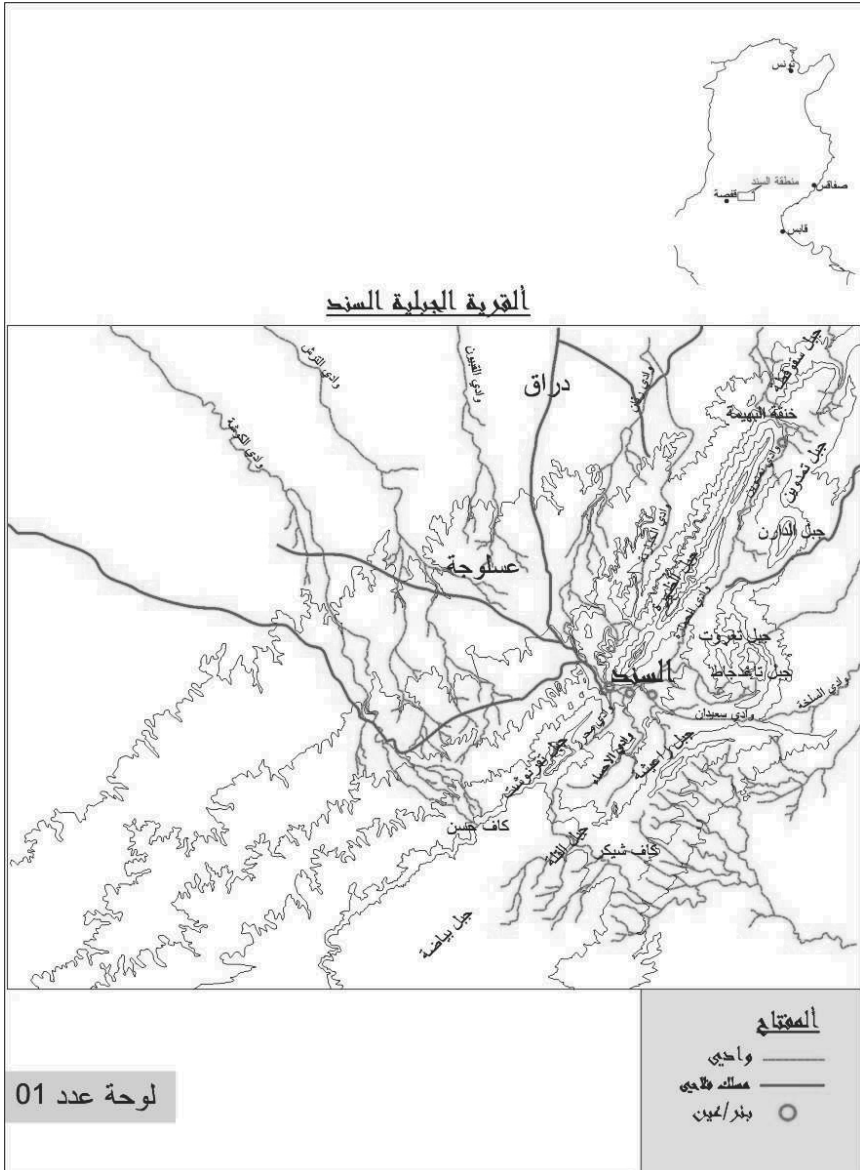
(31) تحيل هذه التسمية إلى المكان وهي من العبارات المستعملة بكثرة في الخرائط وترد غالبا مصحوبة باسم علم مثل بلاد عمرة، بلاد الطلح، بلاد المكناسي... وتعكس كل "بلاد" وحدة جغرافية أو تقسيم جغرافي متجانس يتمثل في سهل ممتد تسكنه مجموعات بشرية متعددة يجمعها جد مشترك، إذ يسكن بلاد عمرة علي سبيل المثال، كل من أولاد عبد الكريم، أولاد منصّر وأولاد محمد وتحتوي هذه المجموعات بدورها مجموعات أخرى أقل حجما. راجع: Abdallah BEN SAAD, *Politiques foncières et dynamiques socio-spatiales: la privatisation des terres collectives dans la plaine de Bled 'Amra – Gafsa (hautes steppes tunisiennes)*, Thèse de doctorat, Université de Tours, 2002, p. 81.

(32) تغطي بلاد عمرة مساحة تقدر بحوالي 165000 هكتار (أي ما يقارب خمس المساحة الجمالية لولاية قفصة) وتمتد شمال وشرق مدينة قفصة في شكل حوض طبيعي يتلقى كميات هامة من مياه السيول انطلاقا من سفوح المرتفعات التي تحده من الشمال ومن الجنوب، إذ يمثل جبل السونوية وجبل كرتّم وجبل ماجورة الحدود الشمالية والشمالية الشرقية وتمثل مرتفعات عرباطة وبن يونس وبورملي الحدود الجنوبية والجنوبية الغربية. يتراوح معدل الارتفاع في هذه الجبال بين 600 و800 متر وتوجد القمم الأكثر ارتفاعا في كل من جبل عرباطة وجبل بورملي حيث تصل إلى 1165 و1200 متر. تتسم مورفولوجية المشهد في هذه المنطقة بمناخ جاف وانعدام شبه كلي للنباتات الشجرية. ويمكن اعتبارها في المقابل منطقة تحول من النواحي المقفرة التي تقع جنوب مدينة قفصة إلى المناطق السباسية العامرة، فانطلاقا من هذه المنطقة تزداد المواقع الرومانية القديمة كثافة ومن المواقع التي رصدها عقلة أولاد محمد، هنشير بوشمال، هنشير زلؤل وهنشير بورملي.

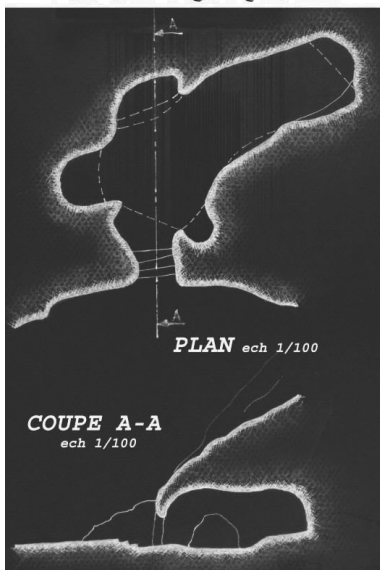
(33) راجع: Miquel BARCELÓ, "La cuestión del hidraulismo andalusí", in *El agua que no duerme: fundamentos de la arqueología hidráulica andalusí*, Granada, 1996, pp. 33-36.



دقيقة في هذا المبحث التاريخي يستوجب توفر سلسلة من الدراسات الدقيقة حول فضاءات مماثلة سواء في إفريقيا أو في غيرها من المناطق بالمغرب والأندلس. فوجود نفس الضرورة التاريخية للتأقلم مع ضغوطات جغرافية تتمثل خاصة في الندرة المائية وصعوبة التضاريس قد يفرز في غالب الاحيان الحلول الهيدرولوجية نفسها، كما أن التبادل الفلاحي بين شتى هذه الفضاءات سواء على مستوى الخبرات والتقنية أو على مستوى الاصناف الزراعية يعد أمرا مؤكدا. ومن هذا المنطلق فإن تراكم الدراسات سيسمح بوضع جملة من القوانين والمبادئ العامة التي تحكم المجالات الزراعية الجبلية ستكون بمثابة المنطلقات المعرفية الاساسية للبحوث المهمة بهذه المجالات.

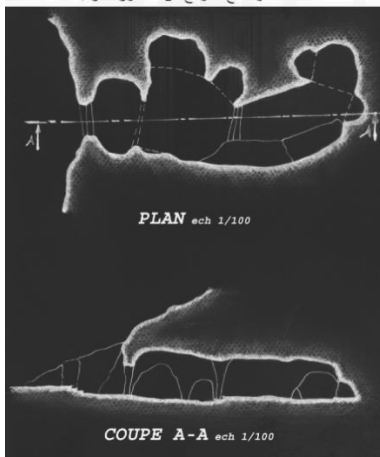


مخطط ومقطع لنموذج من المغاور البسيطة



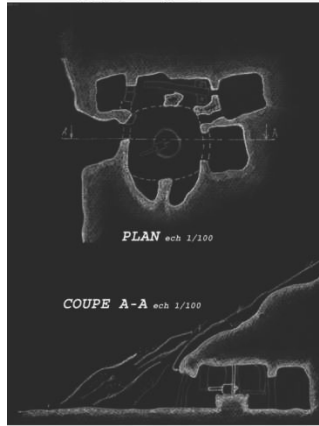
لوحة عدد 02

مخطط ومقطع لنموذج من المغاور المركبة



لوحة عدد 03

مخطط ومقطع لمعصرة زيتون



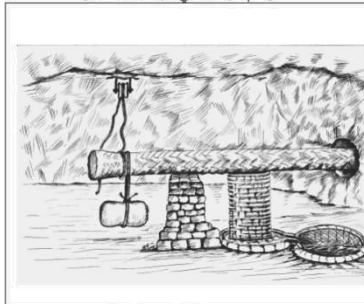
لوحة عدد 04

أثار وحدة الجرش



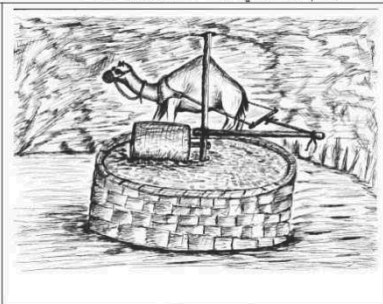
صورة عدد 01

رسم توضيحي لوحدة العصر

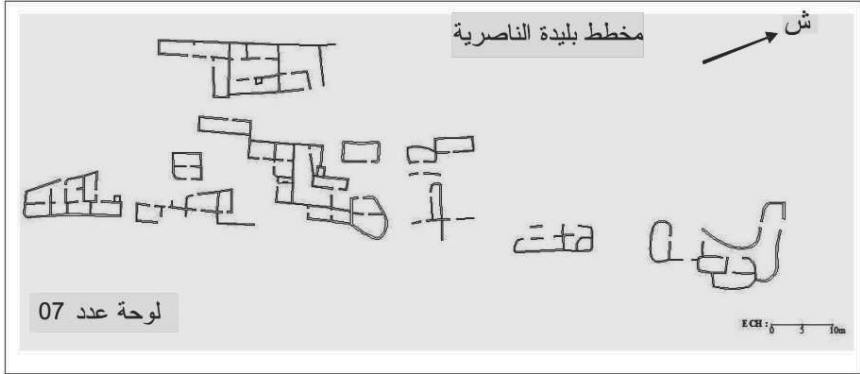


لوحة عدد 06

رسم توضيحي لوحدة الجرش / المعجنة



لوحة عدد 05

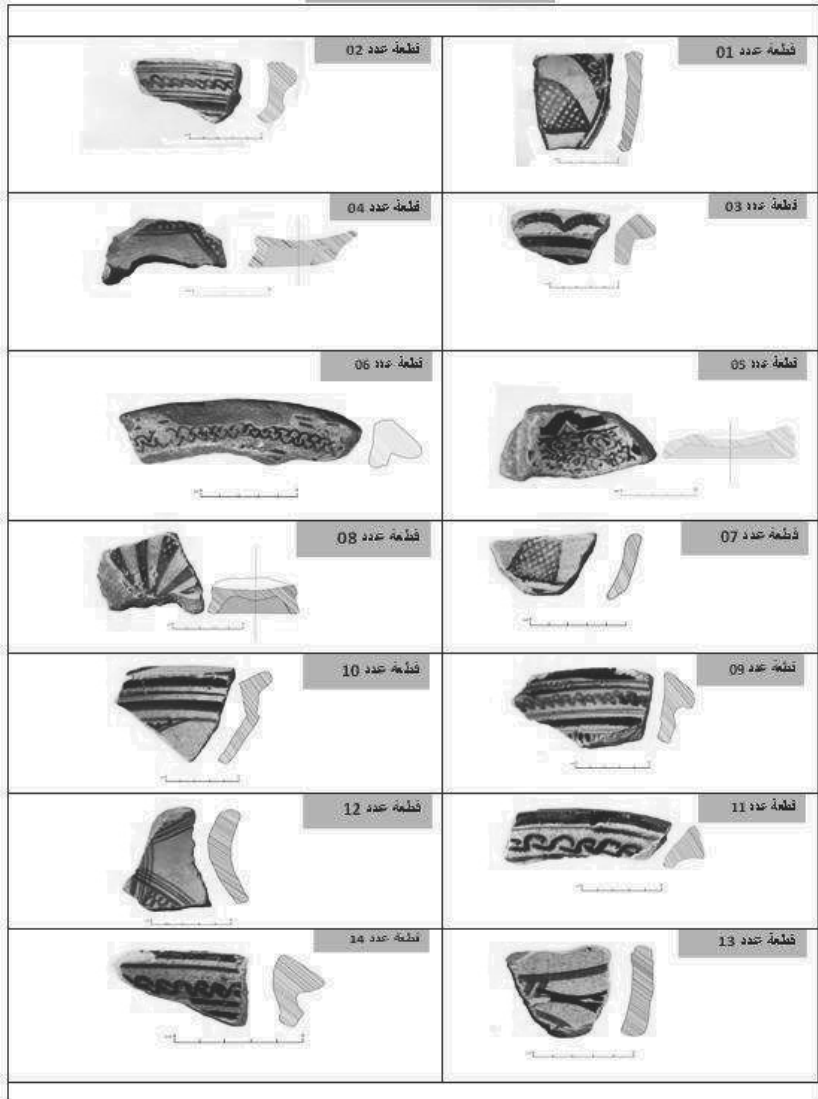


موقع الشرشارة



صورة عدد 02

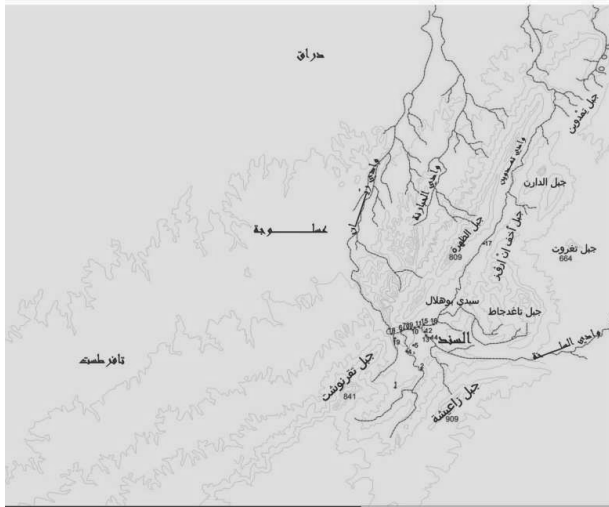
## لوحة عدد 08: خزف بلدية الناصرية



آثار ماجل بلدية الناصرية



أبار السند



المفلاج

1	بئر بو عيسى	8	بئر الكرش	14	بئر سحمان
2	بئر الأنصاه	9	بئر الحرفية	15	بئر الكسافة
3	بئر اولاد الطيب	10	بئر اولاد منصور	16	بئر لومي
4	الحين	11	بئر الكفاوية	17	بئر الحلائت
5	بئر الأعرش	12	بئر العفيلة	18	بئر الحمارا
6	بئر الشيخ حمد	13	بئر بو سحمان	19	بئر الحرارة
7	بئر الشيخ حمد 2				

لوحة عدد 09